

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
المغامرة الكبرى
136
المؤسسة العربية الحديثة
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة
136
المغامرة الكبرى
• ما مصير (أدهم صبري) ورفيقه، بعد انفجار سيارة الأمن، في قلب (موسكو) ؟!
• كيف يدبر زعيم (المافيا) الروسية اللعبة، بعد أن سيطر على الموقف بالفعل ؟!
• ترى هل يمكن أن يتصدى الرفيق محمود الدولة بأكملها ؟! .. ومن يربح هذه (المغامرة الكبرى) ؟!
العدد القادم
مدينة الذئاب
REEM1.COM

رجل المستحيل

(أدهم صبري).. ضابط مخابرات مصري، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعني أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة، لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- الجنرال..

التقى حاجبا مدير المخابرات الروسية في توتر ملحوظ، وهو يقف في الممر الطويل، في ذلك المبنى التابع للمخابرات، الذي شهد، منذ ساعات قليلة، انفجار أحد مصاعد الأمن، على نحو كاد يودي بالكولونيل (سيرجي كوربوف) نفسه.

وفي أحد أركان الممر، انهمك فريق من خبراء المفرقعات والمتفجرات، في فحص بعض الآثار الواضحة، على نحو يوحي بأهمية وخطورة الأمر، في حين شد الجنرال (جوزيف كوالسكي) قامته، وتنحنح في قوة، وهو يقول في صرامة:

- تقرير الخبراء سيثبت ما ورد في تقريري يا سيدي.. هؤلاء المصريون خبراء قتل بحق، وهم المسئولون عما أصاب الكولونيل (سيرجي).

ثم ارتفع صوته، واكتسى ببعض الحدة، وهو يضيف:

- لقد اختطفوني بالقوة، وكادوا يقتلونني، لولا أن نجحت في الفرار منهم بأعجوبة .

ازداد انعقاد حاجبي مدير المخابرات، وهو يتمتم في صرامة متوترة :

- عقلي عاجز عن الاقتناع بهذا تمامًا .

ثم التفت إليه، مكملاً بصرامة أكثر :

- تاريخ (أدهم صبري) كله يؤكد استحالة لجوئه إلى مثل هذه الأمور السخيفة دون مبرر .. ربما كان من الممكن أن يقاتل مع زملائه بأضعاف هذه الشراسة، لو كنا اختطفناهم هنا، أو نسعى لتدميرهم، بأية وسيلة كانت، ولكننا، على العكس تمامًا، كنا نستضيفهم، ونستعد لإعادتهم إلى وطنهم معززين، على الرغم من كل ما فعلوه هنا .

وهز رأسه في قوة، قبل أن يضيف بمنتهى العصبية :

- ثم إن (سيرجي كوربوف) صديق لـ (أدهم)

وهو الذي أنقذ حياته، عندما سقط مصابًا وسط الثلوج(*)، وكلاهما رجل مخابرات حازم، مخلص، وشريف، فلماذا يسعى أحدهما لقتل الآخر ؟!

قال الجنرال في صرامة :

- لا تنس يا سيدي أن الكولونيل (كوربوف) قد سعى يومًا لتدمير (أدهم) الأسطوري هذا(**)، وربما احتفظ الآخر بغصة في حلقه من يومها، و ...

لوّح مدير المخابرات الروسية بيده يقاطعه، وهو يقول في حدة :

- أي هراء سخيف هذا ؟! ما فعله (كوربوف) آنذاك، كان جزءًا من عمله، ثم إن الرجلين قد تصافيا فيما بعد، وربطت بينهما صداقة من نوع خاص، جعلت كلاً منهما يبذل حياته في سبيل وطنه، دون أن يمانعا في التعاون والتآزر، في مواجهة خطر مشترك، إذا

(*) راجع قصة (الأبطال) .. المغامرة رقم (١٣٤) .

(**) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

ما حدثت الأمور هكذا(*) ، والشيخان مثلهما لن يفكرا أو يتعاملا بهذا الأسلوب المراهق ، تحت أية ظروف .

انعقد حاجبا (كوليسكى) فى توتر ، وهو يغمغم :

- صدقنى .

لم يكد ينطقها ، حتى نهض أحد خبراء المتفجرات ، واتجه نحوهما ، قائلاً فى حزم :

- الفحص يؤكد صحة رواية الجنرال (كوليسكى) يا سيدى .

تألقت عينا (كوليسكى) فى ظفر ، فى حين هتف مدير المخابرات الروسى ، فى لهجة حملت لمحة من الدهشة :

- حقاً ؟!

تابع الخبير فى حسم الواثق :

- لقد استخدموا بالفعل شحنة متفجرة ، يتم إشعالها بوساطة جهاز تحكم عن بعد ، وبوسيلة تشف عن

(*) راجع قصة (سقوط قلم) .. المغامرة رقم (٣٠) .

أنهم خبراء فى هذا المجال ، خاصة وأنهم قد استخدموا جهاز التحكم الخاص بالتلفاز ، للقيام بهذا العمل .

هتف (كوليسكى) :

- أرأيت ؟!

رمقه المدير بنظرة صارمة قاسية ، جعلته يطبق شفتيه ، ويعقد حاجبيه فى حنق ، فعاد المدير ببصره إلى الخبير ، متسائلاً :

- وكيف حصلوا على الشحنة المتفجرة ؟!

رفع الخبير سبابته ، مجيباً فى حماسة عجيبة :

- بلمحة عبقرية .

ثم واصل بنفس الحماسة ، وكأنما يصف أمراً يروق له بشدة :

- الأمر أشبه بصنع تحفة فنية يا سيدى .. لقد استعانوا بأجزاء أحد أجهزة المراقبة ، التى انتزعوها

من الجدار ، ثم رتبوا الأمر بعبقرية لم أر مثيلاً لها ، في حياتي كلها ، فالفتاة طلبت مزيلاً لرائحة العرق ، على شكل بخاخة صغيرة ، والطبيب طلب بعض الخل لمعدته ، والبدين حصل على علبة سجائر روسية الصنع وقداحة صغيرة تعمل بالغاز .. وبهذه الأشياء البسيطة صنعوا قنبلة محدودة .. تصوّر !!

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يكمل بحماسة متزايدة :

- صدقني يا سيدي .. لولا أن خبيرة مفرقعاتهم هذه مصرية ، لجثوت على ركبتيّ أمامها ، أرجوها أن تنضمّ لفريقنا ، و ...

قاطعه المدير في ضيق ، وكأنما لا تروق له هذه الحماسة الزائدة :

- مزيل لرائحة العرق ، وبعض الخل وقداحة ؟! أية قنبلة هذه ؟!

هزّ الخبير كتفيه ، وقال :

- إنهم لم يحاولوا صنع قنبلة تدميرية .. فقط وميضة

لتشتيت الانتباه لحظيًا .. وما أتصوّره هو أن الجنرال ورجاله كانوا يواجهونهم ، فضغط أحدهم زر جهاز التحكم عن بعد ، لينسف تلك الشحنة المتفجرة المحدودة ، لتشتيت انتباههم لحظة ، ينقضون هم خلالها عليهم .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ، على ضوء المعلومات الأخيرة ، في حين غمغم (كوليسكي) في صرامة :

- أوغاد !

استدار المدير إليه ، قائلاً :

- السؤال الحقيقي يا جنرال ، هو : كيف حصل أولئك الأوغاد على كمية متفجّر (C4) ، التي نسفت المصعد ، أو على جهاز فحص الشفرة ، المستخدم لتفجيرها ، بدائرته الدقيقة المعقدة .

هتف (كوليسكي) :

- إنهم خبراء .

قال المدير في صرامة حادة :

- وماذا عن الخامات ؟! من أين حصلوا عليها ؟! لقد سمعت بنفسك أنهم يستخدمون خامات من البيئة المتاحة فحسب .

احتقن وجه (كوليسكي)، وبدا له أن المدير قد أوقعه في فخ سخيف، وهو يحاول عبثًا العثور على جواب منطقي، ولما عجز عن هذا، قال في عصبية :

- على أية حال، كل هذا لم يعد مجديًا الآن، فقد عثر رجالي عليهم بالفعل، و ...

قاطعه المدير في حدة صارمة :

- نعم .. لم يعد مجديًا .

قالها، وذهنه يستعيد تلك الأحداث منذ بدايتها ..

أو ما يعرفه منها على الأقل ..

وكلها بدأت بعد إصابة (أدهم) وسط جليد (موسكو)، إثر مواجهته العنيفة، وفريقه الجديد، مع (إيفان إيفانوفيتش)، زعيم (المافيا) الروسية، ورأس الأفعى

الإجرامية الرهيبة، التي نمت في توحش، إثر انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفككه، وأزمته الاقتصادية الطاحنة(*) ..

فعلى الرغم من أن عملية (أدهم) وفريقه كانت خارج القوانين والنظم الروسية، إلا أن نجاحهم فيها، مع جهود (مصر) الدبلوماسية، ساعدا على امتصاص الروس للموقف، واستعدادهم لإعادة الجميع إلى وطنهم ..

وفي أثناء زيارة (منى) و(قدري) لـ (أدهم)، الذي يتلقى علاجًا خاصًا جدًا، في مستشفى القاعدة الفضائية الروسية، قامت (المافيا) الجديدة بمحاولة بالغة العنف والوحشية، للقضاء عليه وعلى فريقه، قبل أن يستعيد وعيه ..

ولكن المعجزة حدثت ..

واستعاد (أدهم) وعيه ..

استعاده في لحظة حاسمة، لينقذ شقيقه، وصديقه، وزميلته التي لم يعشق يومًا سواها ..

(*) راجع قصة (الأبطال) .. المغامرة رقم (١٣٤) .

ومنذ تلك اللحظة ، اشتعلت الدنيا ، ولم تهدأ قط ..

فالشيء الذي ما زال يجهله مدير المخابرات الروسية ، هو أن (المافيا) قد صار لها زعيم جديد .

زعيم يُدعى (يوري إيفانوفيتش) ، شقيق زعيمها السابق (إيفان إيفانوفيتش) .. زعيم جديد ، شرس ، عنيف ، قاس ..

ومجنون ..

مجنون يسبح في ذلك الفراغ الباهت ، ذي الحدود الواهية ، بين العبقرية والجنون ..

ولكن المؤكَّد أنه يمتلك منظورًا دقيقًا ، وقدرة مدهشة على رصد مشاعر وانطباعات الآخرين ، واستنباط ردود أفعالهم ، بدقة مقتها من مثيل ..

لذا ، فقد أدار اللعبة كلها بعبقرية مذهلة ، على الرغم من جنونه ، المطبق ..

نسف مصعد أمن خاصًا ، في وجه (سيرجي كوربوف) ؛ ليزيحه عن قيادته لعملية تأمين (أدهم)

والآخرين ، ثم رتب الأمور كلها ، بحيث يدفع المجموعة المصرية كلها إلى حيث يريد ..

وبمنتهى الدقة ..

وعلى الرغم من براعتهم وقدراتهم المدهشة ، كان (أدهم) ورفاقه يسيرون على نفس النهج ، الذي أعدَّه وتوقَّعه (يوري إيفانوفيتش) ، حتى عندما اضطروا لمهاجمة الجنرال الخائن (كوالينسكي) وفريقه المسلح ، وفروا من المبنى التابع للمخابرات الروسية ، لتنطلق (روسيا) بطرفيها خلفهم بلا هوادة ..

الطرف الرسمي ، باعتبارهم أعداء للدولة الروسية ..

والطرف الإجرامي ، باعتبارهم هدفًا رئيسيًا لانتقام (المافيا) الروسية ..

وعن طريق جهاز تتبُّع ، مزروع خفية في سيارة الأمن ، التي فروا بها ، توصَّل رجال الجنرال (كوالينسكي) إلى السيارة ، داخل الشارع الجانبي الضيق ، الذي أوقفها (أدهم) فيه ..

وانطلقت رصاصاتهم نحوها ، فى غزارة ليس لها من مثيل ..

وداخل الشارع الضيق الصغير ، وفى قلب (موسكو) ، انفجرت السيارة بمنتهى القوة والعنف ..

انفجرت بكل ما فيها ..

ومن فيها(*) ..

* * *

« إنه دوى انفجار ! »

هتف الجنرال (فاسيلوف) بالعبارة فى توتر بالغ ، وهو يلتفت إلى حيث سمع دوى الانفجار البعيد بحركة حادة ، فأمسكت (روشا) ذراعه فى قوة ، حتى إن أصابعها الفولاذية قد غاصت فى عضلاته بقسوة ، وهى تقول فى صرامة :

- لا تشغل نفسك بأمره .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الأسطورة) .. المغامرة رقم (١٢٥) .

قال فى عصبية ، وهو يجذب يدها فى قوة ، محاولاً انتزاعها من ذراعه :

- إنه انفجار .. لا يمكننى أن أخطئ معرفته .. أنا رجل حرب قديم .

جذبته فى قسوة إلى ذلك المنزل القديم ، الذى يبدو من الخارج مهجوراً مقفراً ، وهى تكرّر فى صرامة أكثر :

- قلت لا تشغل نفسك بأمره .

صاح بها فى حدة :

- إنك تؤلميننى .

انتبهت عندئذ فقط إلى عنف تعاملها معه ، فتركت ذراعه ، ودفعته من ظهره ، قائلة فى خشونة :

- إنه موعدك مع (يورى) ، وهو يكره الانتظار .

قال الجنرال فى غضب :

- لقد أتيت فى موعدى .

قالت بنفس الخشونة :

- لا تضع الوقت إذن .

توقفت معه أمام جدار قديم ، وضغطت جزءاً خفياً منه ، فانزاح جزء من ركنه ، ليكشف فتحة تنبعث من خلفها ضوء خافت ، في حين التفتت هي إليه ، قائلة في صرامة قاتلة :

- مسدسك يا جنرال .

أجابها في عصبية :

- لست أرتدى زيى الرسمى ، أو أحمل سلاحاً .

قالت ، في لهجة تحمل لمحة سخرية :

- حقاً !

ثم راحت تفحصه في سرعة وعدم لياقة ، على نحو جعله يقول ، في عصبية أكثر :

- قلت : إننى لا أحمل سلاحاً .

اعتدلت ، قائلة بنفس الغلظة السابقة :

- لا ضير من التيقن .

ثم دفعته نحو تلك الفتحة ، قائلة بصوت مرتفع نسبياً :

- الجنرال (فاسيلوف) أيها الزعيم .

اندفع الجنرال داخل حجرة بالغة الأناقة ، لا يمكنك أن تتخيل وجودها ، في منزل قديم مهجور كهذا ، بها مكتبة ضخمة ، تكتظ بعشرات الكتب والمراجع ، ويتوسط الجدار المقابل لمدخلها مكتب مطعّم بالنحاس الأحمر ، مع قطع وحليات من الذهب الخالص ، يجلس خلفه (بورى) ، وأمامه مصباح أنيق ، هو الضوء الوحيد في تلك الحجرة ذات الجدران المغلقة ، التي لا تحوى أية نوافذ أو مخارج أخرى ، بخلاف تلك الفتحة السرية ..

وما إن وقع بصر (بورى) عليه ، حتى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة واثقة ، ونفث دخان سيجارته القصيرة ، ذات الرائحة النفاذة القوية ، قبل أن يقول في هدوء :

- كنت أعلم أنك ستأتى فى موعدك .

تقدم (فاسيلوف) نحوه ، وهو يقول في عصبية :

- مواعيدي دائمًا منضبطة .

ابتسم (بوري) ابتسامة عجيبة ، لايمكنك أن تجزم بما إذا كانت ابتسامة إعجاب أم سخرية ، وهو يقول :

- هذه سمة رجال الجيش في المعتاد .

مدّ الجنرال يده ليصافحه ، إلا أن (بوري) تجاهل اليد الممدودة إليه تمامًا ، وهو يشير إلى المقعد المقابل لمكتبه ، قائلاً :

- اجلس يا جنرال .

احتقن وجه الجنرال (فاسيلوف) ، وهو يستعيد يده ، واتسعت عيناه بنظرة غاضبة مستنكرة ، ولكن (بوري) لم يبال بانفعالاته هذه ، وهو يتراجع في مقعده ، قائلاً :

- أظنها ليست أول مرة تلتقي فيها بي في هذا المكان .. لقد كان يخص شقيقي (إيفان) فيما مضى .

جلس الجنرال ، وهو يقول بنفس العصبية ، والوجه المحتقن :

- ولماذا آتي إلى مكان كهذا ؟!

تفجر (بوري) ضاحكًا فجأة ، في سخرية فجة ، جعلت الجنرال يهتف في غضب :

- ما الذي يضحكك بالضبط ؟!

اعتدل (بوري) ، وبتر ضحكته بغتة ، وانعقد حاجباه في صرامة وحشية ، وهو يقول ، رافعًا يده بأسطوانة مدمجة :

- إنني أمتلك النسخة الوحيدة من هذه .

حدّق الجنرال في الأسطوانة ، وهو يغمغم في توتر شديد :

- وما هذه بالضبط ؟!

قال (يورى) نحوه، مجيباً بشراسة مخيفة:

- القائمة الكاملة، لأسماء كل من تقاضى رشوة، أو رفضها شهرياً من (المافيا) الروسية، بدءاً من زعامة (يلتسن) نفسها .. هل تحب أن أقرأ لك الجزء الخاص بالجيش منها يا جنرال؟

امتقع وجه الجنرال، وبدا وكأنه انكمش في مقعده، وهو يغمغم، في صوت فقد كل حدته وصرامته:

- كان مجرد افتراض صغير، و...

قاطعه (يورى)، وهو يتراجع في مقعده، ويفتح درج مكتبه، ليلقي داخله الاسطوانة في إهمال:

- المهم أن يقتنع المسئولون بهذا!

امتقع وجه الجنرال أكثر، وخفض عينيه في شيء من المهانة، وهو يزدرد لعابه في صعوبة، مغمغماً:

- إنني لم أرفض التعاون يا سيد (يورى)

هتف (يورى):

- بالطبع يا جنرال .. فلنقل إنها مصارحة أصدقاء ليس أكثر.

لوح الجنرال براحته في استسلام ذليل، قبل أن يرفع إليه وجهاً شاحباً، وهو يغمغم في خفوت:

- ماذا تطلب بالضبط يا سيد (يورى)؟

تراجع (يورى) أكثر في مقعده، وأشعل سيجارة أخرى من تلك السجائر قوية الرائحة، فسعلت (روث)، وهي تعقد ساعديها المضمومين أمام صدرها.

- توجد سيجارة مشتعلة في المنفضة

مد يده في لامبالاة، فأطفأ السيجارة القديمة، وهو يقول في خشونة:

- ربما نسيتها؛ لأنها في المنفضة السخيفة، التي تصرين على وضعها هنا.

انفرجت شفتاها لتقول شيئاً ، إلا أنها لم تلبث أن أطبقتهما في صمت ، في حين أشار هو إلى الجنرال قائلاً :

- سمعت أنكم تحتفظون بكمية ضخمة من مخزون غاز الأعصاب القديم .. هل هذا صحيح ؟

لوح (فسيبوف) برأسه بعجب ، وقال في استسلام :

- أضخم مما تتصور .

بالقلب عجب (يوري) ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم .. هناك صفقات ضخمة ستعقد يا جنرال .. صفقات ستتيح لك الانتقال إلى عالم المليونيرات ورجال الأعمال الكبار في الغرب

بدا الجنرال منفعلاً ، وهو يغمغم :

- أي رقم تشير إليه يا سيد (يوري) ؟

عقدت (روث) حاجبيها ، ومطت شفتيها الكبيرتين في استنكار ، وهي تتابع حديثهم ، الذي عجب هذا

ولكن ذرة في كيانها تصر على أن حلم (يوري بيلوموفيتش) مجرد وهم ، غير قابل للتحقيق

لقد أدهشها بشدة تجاوب جنرال محنك مثل (فسيبوف) مع الفكرة .. بل وحماسته الكبيرة لها ، مما جعلها تعيد حساباتها وتتساءل : ترى هل يمكن أن ينجح شخص ما في السيطرة على العالم يوماً بالفعل ؟

تكرر السؤال في عقلها ألف مرة ، دون أن تظفر بجواب واحد له .. حتى نهض الجنرال ينهي الجلسة ، وهو يقول :

- رائع يا سيد (يوري) .. أنت عبقري بحق .. يمكنك أن تعتبرني منذ هذه اللحظة شريكاً في خطتك

ثم غمز بعينه مستطرداً بابتسامة خبيثة :

- أو وزيراً في نظامك العالمي القادم

ابتسم (يوري) ، ولكنه سيجيبه في ركن الحجرة ، وهو يقول في برود :

- بالتأكيد يا جنرال .. بالتأكيد

مد الجنرال يده ليصافحه في حماسة ، ولكن (يوري) تجاهل اليد الممدودة إليه مرة أخرى ، وهو يدير عينيه إلى (روث) ، قائلاً :

- أوصلي الجنرال للخارج .

استعاد الجنرال يده دون أن يغضب هذه المرة ، ثم رفع يده بتحية عسكرية ، قائلاً :

- تحياتي يا سيد (يوري) ..

قال (يوري) في شيء من البرود ، وهو يرجع في مقعده بغرور :

- الزعيم يا جنرال .. منذ بدأت عملي ، فستخاطبني منذ هذه اللحظة بلقب الزعيم

ابتسم الجنرال ، وهو يقول :

- تحياتي أيها الزعيم .

رافقته (روث) إلى المخرج ، ثم عادت إلى (يوري) قائلة :

- هل ستنصرف الآن ؟!

أجابها ، وهو ينهض ملتقطاً معطفه السميك الأنيق :

- بالتأكيد .. أنت تعرفين سياستي .. لا مقر ثابت ، ولا مواعيد منتظمة ..

وارتدى معطفه ، وهو يتجه إلى تلك الفتحة السرية ، مضيفاً في شيء من السخرية :

- يظل الغبي كل يوم في قصره المنيف ، دون أن يدرك أن وجوده في مكان معروف يجعل اصطياده ممكناً ، مهما اتخذ من أساليب الحيطة والحذر

هزت كتفيها دون تعليق ، وتسربت إلى جواره حتى بلغ سيارته .. ثم عقبت ، وهي تحتل مقعد السائق :

- رجال (كوالينسكي) أنهوا عملية المصريين

ابتسم في سخرية ، وهو يجلس إلى جوارها :

- وكيف ؟!

لجلبته في سرعة .

- ألم تسمع صوت انفجار سيارة الأمس التي فروا بها ؟!

هز كتفيه وهي تتعلق بالسيارة ، وقال :

- سمعت صوت الانفجار ولكني لم أسمع خبر مصرع المصريين .

قالت في حزم :

- لقد كانوا داخل السيارة ... كولومسكي قال إن رجاله أكدوا هذا في سحق السيارة .

هز كتفيه ، قائلاً :

- هل تصدقين هذا ؟!

التفتت إليه في حدة ، قائلة :

- وما الذي تصدقه أنت ؟!

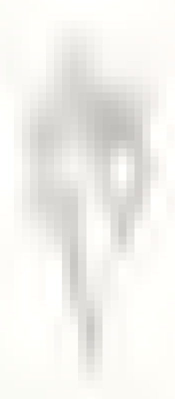
غاص في مقعده وابتسم ابتسامة غامضة ثم لبث أن تحولت إلى ضحكة عالية مجلجلة شقت

سكون الليل ، في شوارع "موسكو" ، التي يعبر عبرها الجليد في غزارة ..

ضحكة شيطانية

واثق .

* * *



٢ ـ السبق ..

« يبدو أن الأمر لم ينته بعد كما نتصور .. »

هتف مدير المخابرات الروسية بالعبارة في انفعال ، وهو يقتحم حجرة الجنرال (كوليمسكي) ملوحا بتقرير عاجل في يده .. فهب (كوليمسكي) واقفا وهو يقول في توتر :

ـ هل سمعت بالضبط يا سيدي ؟

صاح به المدير في غضب :

ـ ثلاثة لصوص .

قال (كوليمسكي) في عصبية حذرة :

ـ ثلاثة ماذا ؟!

صاح المدير ، وهو يلوح في وجهه بالتقرير مرة أخرى :

ـ تقرير الطب الشرعي العاجل ، الخاص بفحص أشلاء قتلى سيارة الأمن ، التي نسفها رجالك ، يؤكد أنهم كانوا ثلاثة لصوص مسجلين ، كما تثبت بصماتهم وبقاياهم .

اتسعت عينا (كوليمسكي) عن آخرهما ، وهو يهتف في ذهول مذعور :

ـ لصوص ؟! مجرد لصوص ؟!

هتف المدير في غضب :

ـ نعم .. سيارة تركت مفتوحة ، في شارع مظلم من الطبيعي ، في ظروف هذه ، أن تجتذب إليها قبيلة من اللصوص .

ردد (كوليمسكي) في انفعال جارف :

ـ لصوص ؟! كل ما ظفرت به مجرد لصوص ؟!

لوح المدير بالتقرير في عصبية ، وهو يقول :

ـ هذا يعني أنهم ما زالوا على قيد الحياة ، في قلب (موسكو) .

انعقد حاجبا (كوالينسكي)، وارتسم بعض الغضب والسخط كله على ملامحه، والمدير يتابع في توتر حذر:

- لست أدري ما إذا كان هذا خيرًا أم ...

قاطعه (كوالينسكي) في حدة:

- بل شر يا سيدي .. شر رهيب.

رمقه المدير بنظرة حائرة، وهو يقول:

- تتحدث كما لو أنه أمر شخصي

هتف (كوالينسكي):

- بل هو أخطر من هذا يا سيدي .. إنه أمر يهدد أمن (روسيا) كلها .. وهذا يعني حتمية أن نتحرك بمنتهى السرعة، ومنتهى الحزم معًا .. يكفينا ما استغرقناه من وقت شحيح كنا نتصور خلاله أننا قد ظفرنا بهم .. ولا أحد يدري كيف فلتوا كل هذا الوقت.

رمقه المدير بنظرة أخرى، وهو يقول:

- كان بإمكانهم أن يستولوا على الطائرة المعدة لترحيلهم، ولكنهم حتى لم يحاولوا هذا!

هتف (كوالينسكي) في انفعال:

- هذا يعني أنهم يخططون لما هو أبعد من ذلك

سأله المدير في اهتمام متوتر:

- مثل ماذا؟!

أشار (كوالينسكي) بيده قائلًا:

- دع خبر ما يتسربون هذا يا سيدي .. المهم ألا نضيع فرصة ثمينة أخرى .. فلنعلن حالة الطوارئ القصوى، ونعلم بتوزيع ونشر صورهم وبياناتهم في كل مكان، ولكن للوسيلة الممكنة أولًا

انعقد حاجبا المدير، وهو يفكر في هذه الخطوة الخطيرة، قبل أن يحسم أمره، قائلًا في صرامة:

- لكن هذا يبدو لي الأسلوب الأمثل، في ظل هذه الظروف ثم رفع سبابته بحركة حادة، مستطردًا

- ولكن بشرط واحد .

سأله (كواليسكي) في عصبية

- أي شرط؟!

أجابه في حزم صارم :

- أن يتم الظفر بهم أحياء .. بكل الوسائل الممكنة أولاً .

صمت (كواليسكي) لحظة ، قبل أن يقول

- هذا يبدو لي منطقيًا .

ولكن ما إن غادر مدير المخابرات الروسية مكتبه ، حتى غمغم في صرامة شديدة العصبية ، وغزيرة الانفعال :

- محال .

والتقط هاتفه المحمول ، وضغط أزراره في سرعة ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال في سرعة متوترة :

- (نيروسكي) .. إنه أنا (كواليسكي) .. المصريون مازالوا على قيد الحياة .. نعم .. لقد تأكدت من هذا .. المدير سيمنحهم حالة الطوارئ القصوى ، ولكنه يصر على الظفر بهم أحياء .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف في صرامة

- وهذا يتعارض مع مصالحنا بالتأكيد

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، والتمعت عيناه بشراسة مخيفة ، وهو يتابع بلهجة آمرة

- أريدك أن تتولى الأمر بنفسك يا (نيروسكي) .. لا تمنحهم فرصة واحدة للعودة .. أريد أن تسحق هؤلاء المصريين فور العثور عليهم .. هل تفهمني؟! أريد أن تسحقهم سحقًا .. وبلا رحمة !

وكان هذا إيذانًا ببدء الجولة الجديدة ..

الجولة الوحشية ..

جدًا ..

* * *

رفع ضابط الشرطة الروسي يده بصرامة شديدة ، ليستوقف تلك السيارة الحمراء روسية الصنع ، أمام الحاجز المعدني ، الذي يسد الطريق ، ثم اتجه بمدفعه الآلي نحوها ، وانحنى يطلب مستنداتها في لهجة خشنة قاسية

- أوراقك

ناوله قائد السيارة أوراقه ، وهو يسأله في قلق ، بدا طبيعيًا ، في ظل هذه الظروف

- ماذا هناك أيها الضابط ؟!

أجابه الضابط في صرامة مقتضبة ، وهو يراجع الأوراق بمنتهى الدقة :

- إجراءات أمن .

لم يكن الجواب يحمل أية دلالات منطقية ، إلا أن قائد السيارة اكتفى به ، دون أن يحاول إلقاء سؤال آخر ، في حين سأله الضابط بنفس الصرامة الجافة الخشنة :

- ما الذي أخرجك في هذه الساعة ، وفي مثل هذا الطقس ؟!

سأله قائد السيارة في قلق

- هل تم إعلان حظر تجوال ، أم

قاطعه الضابط في حدة صارمة

- أجب فحسب

أجابه الرجل في توتر ملحوظ

- أنا طبيب كما ترى ، وعملنا لا يعترف بالزمن أو ظروف الطقس ، أو ...

قاطعه الضابط مرة أخرى ، في ضجر عصبي ، وهو يعيد إليه أوراقه ، ويشير إلى الآخرين لرفع حاجز الطريق ، قائلاً :

- اذهب .

انطلق الرجل بالسيارة الصغيرة ، متجاوزًا الحاجز ، ولم يكد يبتعد عنه ، حتى غمغم بالعربية ، وبلهجة مصرية خالصة :



ومع آخر طرقة انفتح باب الشقة، وظهر على عتبته (الدهم) في ذروة نشاطه وحيويته

- ربّاه! من الواضح أن الموقف مشتعل للغاية!
إنه ثالث حاجز طريق حتى الآن

انحرف بالسيارة إلى حي راقٍ نسبيًا، وتجاوز المباني الثلاثة الأولى، ثم توقف أمام المبنى الرابع، وغادر السيارة حاملاً حقيبتين كبيرتين، وصعد إلى الطابق الثالث، ثم طرق باب الشقة الوسطى ثلاث طرقات متتالية سريعة، ثم طرقة واحدة، أعقبها بثلاث طرقات أخرى..

ومع آخر طرقة انفتح باب الشقة، وظهر على عتبته (الدهم) في ذروة نشاطه وحيويته، وهو يبتسم، قائلاً بالروسية:

- مرحبًا يا صديقي.. مرت فترة طويلة منذ التقينا آخر مرة.

ألقى (سعد) الحقيبتين داخل المنزل، وصافح (الدهم) في حرارة، هاتفًا:

- سيادة العميد.. لا يمكنك أن تتصور

قاطعه (أدهم)، وهو يضع سبابته على شفتيه محذرًا، ويغلق الباب خلفه تمامًا:

- بالروسية يا صديقي.. تحدث دومًا بالروسية، التي تجيدها كأهلها، فكلمة عربية واحدة، يسمعها أي جار فضولي، كفيلة بكشف أمرنا جميعًا.

ابتسم (أسعد) وهو يقول:

- معذرة يا سيادة العميد.. لقد استغرقتني روعة مفاجأتك.. ثم إنني لم أكن أتصور قط أنك ما زلت تذكر عنوان وموقع هذا المنزل الآمن في قلب (موسكو).

قال (أدهم) في هدوء:

- إنني أحفظ عنوان كل منزل آمن في (روسيا) كلها، عن ظهر قلب.

سأله (أسعد) في اهتمام:

- ولكنك لم تكن تحمل مفتاح هذه الشقة

ابتسم (أدهم)، قائلاً:

- لم تكن هذه مشكلة.

تساءل (أسعد):

- وماذا عن وسيلة الانتقال؟

ضحكت (منى) قائلة:

- لم تكن مشكلة أيضًا.

وسأله (أدهم) في اهتمام كبير:

- هل أحضرت كل ما طلبته منك؟!

أومأ برأسه إيجابًا، وقال:

- كل شيء.. وبالذات ما يخص السيد (قدري) وأصابعه الذهبية التي لها الفضل، بعد الله (سبحانه وتعالى)، في وصولي إلى هنا سالمًا، فالهوية الروسية التي صنعها لي في العام الماضي، أقنعت رجال الشرطة في ثلاثة أكمنة مختلفة، في ظل حالة الطوارئ القصوى.

هز (فرى) كتفيه فى خجل، مغمغماً:

- إنه عملى.

ابتسم الكل إعجاباً بعبقريته وتواضعه، فى حين قال (أدهم) فى اهتمام:

- إننى أعلن حالة الطوارئ القصوى بتفعيل

أومأ (صفر) برأسه إيجاباً، وقال:

- من الواضح أنكم تخوضون حروب (روسيا) كلها، وليس (موسكو) وحدها، فالكل يبحث عنكم بمنتهى الشراسة، وصوركم وأوصافكم تذاع كل ربع ساعة فى كل محطات التليفزيون.

هزت (ريهام) كتفيها بلا مبالاة، قائلة:

- هذا لن يخيفنا.

أشار إليها (أدهم)، قائلاً فى حزم:

- أهم ما يجب أن نعلمه، فى ظروف كهذه، هو ضرورة ألا نهوّن من شأن الخصم أو الموقف، حتى

يمكننا التعامل معه بأسلوب صحيح وسليم.. وفى موقفنا هذا، نواجه قوة كاسحة، بكل من فيها.. نواجه قوات الرئاسة، بكل إمكانياتها، وسلطتها، وقدرتها على الانتشار، وسيطرتها على الجوانب بإحكام، ونواجه فى الوقت ذاته منظمة (المافيا) الروسية، أقوى منظمة إجرامية، فى زمننا هذا، بكل عنفها، وشراستها، ووحشيتها، وتغلغلها فى المجتمع الروسى حتى النخاع، وهذا يعنى أننا محصورون بين المطرقة والسندان، وهذا يستلزم كل قوتنا وطاقتنا وقدراتنا، لنخرج من المأزق.. أما الانتصار فيه، فهو يبدو شبيهاً بالمستحيل!

غمغم (فرى) بابتسامة باهتة:

- هذا يعنى أنه من صميم اختصاصك أنت.

هز (أدهم) رأسه، قائلاً فى صرامة:

- المهم أن يجيد كل منا دوره.. وإلى أقصى حد.

هتف (شريف) فى حماسة:

- كلنا رهن إشارتك يا سيدي

أدار (أدهم) عينيه فيهم في صمت، وكأنما يعيد ترسيمه للموقف كله مرة أخرى، قبل أن يقول (سعد) في اهتمام قلق:

- لماذا لا نطلب من (القاهرة) تدبير عملية خاصة لإخراجكم من هنا، وإعادتكم إلى الوطن؟!

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة، وهو يقول:

- في ظروف كهذه، سيحتاج إخراجنا من هنا إلى عملية عسكرية كبرى يا صديقي

ثم تلاشت ابتسامته، وهو يضيف في حسم:

- ولكن يمكننا أن ندبر عملية بخروج شقيقي الدكتور (أحمد) و...

قاطعه الدكتور (أحمد) في صرامة:

- مستحيل!

استدار إليه (أدهم) قائلاً:

- (أحمد).. أنت مصاب، ومن الضروري أن

قاطعه مرة أخرى، في صرامة أكثر:

- قلت: (كلا)..

ثم استطرد في انفعال يحمل الكثير من العزم والإصرار:

- هل تتصور أن جسدك معرض للانهيار في أية لحظة؟! إنك لم تستعد وعيك ونشاطك بالأسلوب الطبيعي يا (أدهم)، والخطر الطبي ما زال يحدق بك، ووجودي هنا قد يكون خط دفاعك الأخير في أية لحظة

هز (أدهم) رأسه، قائلاً:

- اسمعني جيدًا..

هتف الدكتور (أحمد)، بكل إصرار وعناد الدنيا:

- كلا يا (أدهم).. لن أرحل بدونكم

ارتفع حاجبا (قدري) في تأثر، وهو يقول:

- كنت أظنهما مختلفين.

قالت (منى) في سرعة :

- في المهمة فحسب .

وفي صمت ، تبادل (علاء) و(شريف) و(ريهام) نظرة تحمل إعجابهم وانبهارهم

أما (أدهم) وشقيقه ، فقد تطلع كل منهما إلى عيني الآخر بضع لحظات ، تبادلت العيون خلالها حوارًا أبلغ من كل كلمات الدنيا ، قبل أن يبعد (أدهم) عينيه ، قائلاً في حزم :

- على بركة الله

وكان هذا أشبه بناقوس بدء الجولة الأولى من المغامرة ..

المغامرة الكبرى ..

* * *

بدا القلق الشديد على وجه مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يراجع ، للمرة الثالثة ، ذلك التقرير

العاجل ، الوارد من (موسكو) ، قبل أن يضعه على مكتبه ، قائلاً لمساعده الأول في توتر :

- هذا الأمر خطير للغاية .. الموقف متدهور في (موسكو) إلى أقصى حد ، حتى أن الروس يرفضون أية محاولات دبلوماسية لتهدئة الموقف ، ويصرون على أن رجالك قد تجاوزوا كل الحدود ، وحاولوا اغتيال أحد ضباط مخابراتهم

سأله مساعده الأول في قلق :

- وماذا سنفعل إزاء هذا ؟!

تنهد المدير ، قائلاً :

- (ن - ١) يرى أن الموقف معقد ، حتى أنه من الأفضل ألا نتدخل بصفة رسمية ، أو حتى غير رسمية ، ويفضل أن يترك رجاله يتولوا الأمر بأنفسهم .

هتف مساعده :

- وكيف ؟!

هز المدير رأسه، قائلاً في حزم:

- لا يمكنه أن يورد التفاصيل، في برقية عاجلة كهذه.

وصمت لحظة، قبل أن يميل إلى الأمام مكملاً بلهجة واثقة حاسمة:

- ولكن من المؤكد أنه سيدير الأمر بعبقرية مبهرة كعادته.

تساءل المساعد في اهتمام:

- هل تعتقد أنه من الممكن أن...

قاطعه المدير بإشارة من يده، وهو يقول:

- مع (ن - ١) لا يمكنك أن تتوقع الخطوة التالية أبداً.

هز المساعد كتفيه، قائلاً:

- ربما، ولكن في موقف معقد كهذا، هناك حدود للحركة حتماً.

ابتسم المدير، وتراجع في مقعده مغمغماً:

- ليس مع (أدهم صبري).

تساءل المساعد:

- وعندما تبدأ أوصافه وصوره، وتطارده دولة بأكملها، في كل ركن وكل شبر، هل يمكن أن يجد وسيلة لتوجيه ضربة مباشرة، أو القيام بخطوة حاسمة.

أجاب المدير في سرعة:

- بالتأكيد.

رفع حاجب مساعده في دهشة، ومال إلى الأمام مستطرداً في حزم:

- عندئذ سيتجاوز كل حدود العقل والمنطق، ويضرب حيث لا يمكن أن يتوقعه أحد.

تساءل المساعد في حيرة:

- مثل ماذا؟!

عاد المدير يتراجع وهو يقول:

- لقد قلتها لك من قبل مع (ن - ١) لايمكنك أن تتوقع الخطوة القادمة

وصمت لحظة، قبل أن يضيف بكل حزم وحسم وثقة الدنيا:

- أبدا!

والعجيب أنه كان على حق في هذا

على حق تماما..

فالخطوة التي أقدم عليها (أدهم)، لم يكن من الممكن توقعها

أبدا..

* * *

(صباح جديد) اسم واحد من أهم وأشهر برامج التليفزيون، التي تعرض (روسيا) كلها على شاشتها كل صباح، فهو يقدم للمواطن العادي كل ما يحتاج إليه ليبدأ يومه الجديد..

أحوال الطقس.. حالة الطرق.. الوضع الأمني والاقتصادي.. آخر الأخبار

كل شيء تقريبا..

ومع الشهرة الواسعة، التي حازها البرنامج، بلغت مقدمته (ناديا ميروفيتش)، حتى صارت تنافس نجمات السينما والمجتمع، بأناقتها، وجمالها، وحرصها الدائم على تقديم كل جديد ومثير

الشيء الوحيد الذي كان يرهق (ناديا) بالنسبة لبرنامجها الشهير، هو أنه يذاع على الهواء مباشرة، في السابعة صباحا، مما يضطرها للاستيقاظ يوميا في الخامسة، حتى يمكنها إعداد زينتها وموضوعاتها، والظهور بشكل لائق وابتسامة ساحرة، وهي تواجه جمهورها العريض جدا كل صباح

وفي ذلك الصباح، ارتفع رنين المنبه المجاور لفراشها، في تمام الخامسة كالمعتاد، فمدت يدها توقف رنينه، وهي تغمغم في كسل محنق

- رباه! لقد بدأ عذاب يوم جديد

كأنه تهم بالنشوب، عندما سمعت صوتًا داخل حجرة نومها يقول في هدوء شديد، وبلغة روسية سليمة جدًا:

- عجبًا.. كنت أتصورك تستمعين به متمنية كل صباح!

انتفض جسدها كله، وهي تقفز من فراشها في رعب، واتسعت عيناها عن آخرهما في ارتياع وهي تحدق في رجل أشيب الشعر... كث الشارب أزرق العينين... منحسر الوجه... يجلس في نهاية الحجرة، على مقعدها الوثير المفضل... ويبتسم لها في هدوء شديد، ثم تقترب يدها نحو درج الوحدة المجاورة لفراشها بحركة [illegible]، فهز الأشيب يده، قائلا بنفس الهدوء:

- هل تبحثين عن هذا؟!

كاد قلبها يتوقف رعبًا، وهي تحدق في مسدسها الصغير، المستقر في راحته، قبل أن تصرخ:

- من أنت؟! وكيف دخلت إلى هنا؟

تجاهل الأشيب سؤاليها تمامًا، وهو يسألها بهدوئه المثير، وكأنه من الطبيعي أن يتواجد في حجرة نومها هكذا:

- هل ترغبين في الفوز بسبق إعلامي خطير؟!

عادت تهتف في رعب:

- من أنت؟!

مال إلى الأمام، واكتسب صوته رنة صارمة، وهو يقول:

- هل ترغبين في هذا؟!

راودتها فكرة الصراخ على نحو مستمر، كوسيلة لجلب أي نوع من النجدة، إلا أن طبيعتها الإعلامية مع فضولها الأنثوي تضاعفا... جعلاها تقول في عصبية:

- أي سبق هذا؟!

قال بلهجة توحي بأهمية ما لديه

- لقاء على الهواء مباشرة ، مع شخص لا يمكن أن يتصور مخلوق واحد أن يراه الآن ، على شاشة التليفزيون ، في مقام ملموح

جذبت غطاء على جسدها ، وهي تتمسك في فضول أكثر ، تلاشى نصف ما يحويه من خوف

- أي شخص هذا ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة أقلقتها ، وهو يجيب

- الشخص الذي تحتل كل وسائل الإعلام صورته ومواصفاته ، على رأس فريق من موظفيه ، منذ مساء أمس .

كادت تقفز من فراشها انفعالا ، وهي تهتف

- المصري ؟!

تراجع في مقعده باسترخاء ، مجيبا

- بالضبط

هتفت

- ولكن هذا مستحيل ! أعني كيف سيمكنني إجراء مقابلة على الهواء مباشرة معه ، وكل رجل شرطة في (موسكو) كلها يبحث عنه ؟! وأين يمكن أن نلتقي به ، في ظل هذه الظروف ؟!

هز كتفيه في لامبالاة ، قائلا

- ما رأيك في استوديوهات التليفزيون الخارجية ، في ضاحية (لينين) ؟!

حدقت في وجهه بضع لحظات ، في دهشة مستنكرة ، ثم لم تلبث أن قالت في عصبية

- أنت تسخر مني .. أليس كذلك ؟!

سألها في هدوء شديد :

- ولماذا أفعل ؟!

قالت في حدة :

- لست أدري لماذا تفعل ، ولكنني واثقة من استحالة ذهابه إلى ضاحية كهذه في وضح النهار ، وكل أمن (موسكو) يبحث عنه وعن رفاقه بهذه الشراسة

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة هذه المرة وهو يجيب :

- مشكلتكم هنا أنكم رسميون أكثر مما ينبغي وهذا يجعلكم ميالين لتصديق كل الرسميات

سألته في حيرة حذرة :

- ماذا تعني ؟!

عاد يميل نحوها ، قائلاً :

- أعني أن كل ما يحتاج إليه المرء هنا ليتجاوز كل العقبات مجرد هوية رسمية ... أو شبه رسمية على الأقل ... إلى الحد الكافي لخداع الرسميين

انعقد حاجباها ، وهي تقول في عصبية

- لم أفهم بعد .

تراجع مرة أخرى في مقعده ، قائلاً في حزم

- فلندع ... ليس هناك وقت نضيعه ... لابد أن تحسمي أمرك ، وتتخذي قرارك فوراً ... هل تريدين هذه المقابلة أم لا ؟!

هتفت :

- لا ... إنني مستعدة لدفع نصف حياتي ثمناً لها يا رجل .

ثم استدركت في حذر شديد :

- لو أنها حقيقية .

نهض من مقعده ، قائلاً بنفس الابتسامة الغامضة

- إنها كذلك .

ثم تابع بلهجة آمرة ، توحي بأنه رجل لم يعتد إلا طاعة الآخرين لأوامره :

- أجري اتصالك بمساعديك ، واجعليهم يعدون الاستديوهات للبث المباشر ، في موعد المقابلة ، بحيث يبدأ فور وصولنا ، ولا تخبريهم بهوية الضيف

كانت ترغب في الاعتراض ، وإثبات استقلاليتها ، إلا أنها وجدت نفسها تجيب في طاعة واستسلام عجيبين

- سأفعل .

ثم سمعت عنادها فجأة ، لتقول في حدة

ـ ولكن لماذا ؟!

استدار إليها بعينين متسائلتين ، فتابعت بنفس الحدة :

ـ لماذا يسعى مثله لإجراء مقابلة تليفزيونية كهذه ؟! بم يمكن أن يفيده هذا ؟!

لم ترق لها أبدًا تلك النظرة الجذلة في عينيه ، ولا الابتسامة الساخرة ، التي زينت شفتيه ، وهو يجيب

ـ ربما لأنه يريد أن يربك الكل بضربة واحدة

أو لأنه يؤمن بأنه عندما تتعقد الأمور ، فإن الهجوم يكون دومًا هو خير وسيلة للدفاع ، أو لفكرة مجنونة راودته ، بأن يجعل الشعب الروسي كله طرفًا في اللعبة

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف بلهجة أكثر غموضًا من كل ما يحويه الكون من ألغاز وخبايا

ـ ولكن من المؤكد أن لديه أسبابه

قلبه ، وغادر الحجرة ، ليمنحه فرصة إبدال ثيابه ، وإعداد نفسه للمقابلة ، وحدقت هي في الباب الذي أغلقه خلفه في انبهار ، ثم لم تلبث أن نهضت لتجري اتصالاتها بمساعديها ، لإعداد كل شيء ، في ستديوهات التصوير ، وعقلها يدير الأمر كله مرة أخرى ، ويقلبه على كل الوجوه

كان موقف إعلامه مذهلًا بكل المقاييس ، ولكن السؤال الذي ما زال يلح على رأسها في قوة هو لماذا ؟!

لماذا يسعى لهذه الخطوة العجيبة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ولكن السؤال ظلَّ حائرًا في كيانها كله ، مترددًا في كل خلية من خلايا مخها الرمادية ، دون هوادة

ودون جواب منطقي شاف

على الإطلاق .

* * *

٣ ـ المفاجأة ..

لم تكن ساعات النوم القليلة ، التي قضتها (روضة) رفيقة (يوري بطروفيتش) وحارسته الخاصة مريحة على الإطلاق ، ولا كافية لتستريح عضلاتها وجسدها ؛ فقد هاجمتها عشرات الكوابيس والأحلام المزعجة ، إلى الحد الذي جعلها تفتح عينيها ، مغمغمة في إرهاق عجيب ، وكأنها قضت كل الوقت في تدريب شاق عنيف :

ـ يا للسخافة !

تسللت إلى أنفها رائحة بغيضة ، جعلتها تلتفت إلى (يوري) ، الذي يدخن سيجارته الصغيرة على المقعد الكبير المجاور للفراش ، وتغمغم في ضيق :

ـ هل استيقظت مبكرًا ؟!

أجابها في برود ، وهو يراقب شاشة التليفزيون

ـ بل إنني لم أنم بعد .

تثاءبت في إرهاق ، وهي تنهض من فراشها ، وتسقط ثوبها ، قائلة ، في شيء من الحدة :

ـ كل البشر في حاجة إلى النوم والراحة

نفث دخانها ، وهو يقول في صرامة :

ـ أريد القهوة بدون سكر .

كان أكثر ما يحنقها ، منذ ارتبطت به هو تعامله معها بهذا الشكل البارد ، وكأنها خادمة من الدرجة الثالثة ، إلا أنها كانت تدرك كم سيغضبه رفضها ، لذا فقد غمغمت في توتر :

ـ فليكن .

وعاد هو يدخن سيجارته ذات الرائحة المزعجة وهو يتابع شاشة التليفزيون ، التي ظهرت عليها (ستيف هيدروفيتش) ، جميلة فاتنة كعادتها ، وهي تلقي كلمتها الافتتاحية المعتادة

- صباح جديد يا (روسيا) .. صباح مفعم بالحب والأمل والحياة ..

صباح يحمل كل خبر ، وكل معلومة ، وكل جديد

ثم مالت عيناها في حماسة ، وهي تضيف

- واليوم بالذات ، يحمل أيضًا مفاجأة

ابتسم (يوري) في سخرية ، مغمغمًا

- يا مفاجأة .. هل سمعت عن انخفاض سعر صرف الدولار الأمريكي ؟!

سألته (روث) في رتابة ، وهي تعد قهوته

- وهل انخفض بالفعل ؟!

تجاهل تساؤلها السخيف كالمعتاد ، وهو يتابع (مايك) باهتمام ، مع استطراده بلهجة حماسية

- اليوم ، يستضيف برنامج (صباح جديد) شخصية غير متوقعة على الإطلاق .. على الرغم من أنها تحظى بأكبر قدر من الاهتمام ، منذ مساء أمس

لم يكد (يوري) يسمع هذا التقديم ، حتى انعقد حاجباه في شدة ، وسرت في جسده كله موجة من التوتر ، واعتدل في مقعده بحركة حادة ، مغمغمًا في عصبية :

- لا .. لست أعتقد هذا .

ولكن (مايك) تابع في حماسة

- ضيفنا اليوم ليس رئيسًا ، وليس ضيفًا رسميًا أيضًا .. بل وسيدهشكم أن أمن البلاد كله يسعى خلفه

حملت (روث) قدح القهوة إلى (يوري) متسائلة

- أي ضيف هذا ؟!

لم تكد تتم تساؤلها ، حتى دارت الكاميرا بعيدًا عن وجه (مايك) القلق ، لتتوقف عند وجه رجل وسيم نبيل ، أشيب الفودين ، يبتسم ابتسامة تجمع بين الثقة والسخرية ، وصوت (مايك) يكمل بحماسة أكبر

رجل وسيم أنيق

- ضيف اليوم هو المصرى (أدهم صبرى) .

قفز (بورى) من مقعده ، صائحا :

- مستحيل !

ارتطم مع قفزته بمرءوسه (روش) ، فطار قدح القهوة الساخن من يده ، وتناثر بعضه على وجهه وصدره وذراعيه ، فصرخ فى غضب :

- ماذا تفعل ؟!

صرخ به فى ثورة هادرة ، وعيناه تشتعل فيهما كل غضب الدنيا :

- اصمت .

كانت آثار القهوة الساخنة مؤلمة ، إلا أن لهجته وثورته جعلاه يدرك أن الصمت هو أفضل ما ينبغى أن يلوذ به ، خاصة وهو يحدق مثله فى وجه (أدهم) على الشاشة ، وصوت (ماثيو) يسأله فى اهتمام :

- سيد (أدهم) ، هل تدرك كم المجهود والمخاطرة

اللذين يحتوى عليهما شريطك على الهواء مباشرة
هكذا .. و(روسيا) كلها تسمع حديثك وحديث الرئيس ؟!

ابتسم (أدهم) في ثقة ، وهو يجيب بلهجة روسية
سليمة إلى حد مدهش :

- لقد اتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، حتى تتقلص
احتمالات الخطر إلى أدنى حد ممكن ، ودرست كل نقطة
بمنتهى الدقة ، حتى سرعة رد فعل المسئولين لديكم ،
والزمن الذي يستغرقه تنفيذ قرار قطع البث

قالت في دهشة :

- يبدو واثقًا من نفسك أكثر من اللازم

هز رأسه نفيًا في هدوء ، وهو يجيب بنفس الابتسامة
الواثقة :

- إنني أثق بمنظومة عمل فريقي كله

انعقد حاجباها لتتلاشى الدهشة المرتسمة على وجهها
فجأة ، وتتحول إلى شيء من الصرامة ، وهي تسأله :

- ولكن لماذا يا سيد (أدهم) ؟! لماذا هذه المجازفة ؟!
لماذا سعيت إلى موسكو ، من أجل لقاء كهذا ؟!
ما الذي تريد قوله بالضبط ؟!

مال (أدهم) إلى الأمام ، واكتسى صوته وملامحه
بالحزم والصرامة ، وهو يقول :

- ما أريده هو أن يعلم الكل حقيقة الموقف بالضبط
من الناحية الرسمية ، فمنذ البداية اتهمتم بمحاولة
اغتيال أحد ضباط مخابراتكم ، وبتجاوز قواعد الأمن
المسموح بها ، ولكن الواقع أن هذا ما أرادوه بالضبط
أن يبدو فحسب .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته هذه ،
اقتحم أحد رجال المخابرات الروسية حجرة مكتب
الجنرال (كوليسكي) ، الذي لم يغادر المكتب منذ
أحداث الأمس ، وهتف به في انزعاج شديد :

- سيدي الجنرال ... افتح التلفاز ... سيدهشك ما يبثه
برنامج (صباح جديد) على الهواء مباشرة

أدرك (كوليسكي)، على الفور، مما قاله الرجل، أن الأمر عاجل وخطير بحق، ففكر في المجاز الكبير في مكتبه، وأشعله و...

« مستحيل ! »

انطلق الهتاف على الرغم منه، من بين شفتيه، وهو يحدق ذاهلا في صورة (أدهم) على الشاشة وهذا الأخير يتابع بنفس الحزم والصرامة

- الحقيقة التي لم يعلنها أحد، والتي أثق بأنكم تدركونها جيدًا في أعماقكم، هي أن اللعبة كلها صنعت بوساطة عملاء لمنظمة (المافيا) الإجرامية المتغلغلة في أعماقكم، والتي وجهت إليها ضربة قاصمة منذ أسابيع قليلة... مناورة انتقام مدروسة، يديرها عملاء لمنظمة (المافيا) داخل جهاز المخابرات الروسي نفسه.

امتقع وجه (كوليسكي) عند هذه النقطة، واستدار إلى الرجل، صارخًا في غضب شديد العصبية

- ماذا تنتظر؟ هيا... بلغ شبكة التلفاز بإيقاف هذا البث السخيف فورًا، واطلب من كل رجالنا في المنطقة الانقضاض على هذا المصري... وإخراسه إلى الأبد

ازدرد الرجل لعابه في صعوبة، وقال في توتر

- لقد حاولت الاتصال بشبكة التلفاز بالفعل، ولكن...

قاطعه (كوليسكي) بصرخة هادرة، وكل ذرة في كيانه ترتجف انفعالا

- ولكن ماذا ؟!

أجابه الرجل في توتر أكثر

- الاتصالات كلها مقطوعة بشبكة التلفاز الرسمية

كان (أدهم) يقول في هذه اللحظة

- وعلى رأس هؤلاء العملاء الجنرال (جوزيف كوليسكي) شخصيًا.

احتقن وجه (كوليسكي) هذه المرة، وهو يهتف في غضب:

- لقد فعلها... ذلك المصري فعلها

سألت (سالي) (الدهم) في هذه اللحظة ، بلهجة
تحمل الكثير من الدهشة والاستنكار والغضب

- هل سرك أنك تهاجم واحدًا من أشهر جنرالات (روسيا) ، وأكثرهم احترامًا ، دون سبب واضح ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- هذا هدفنا الرئيسي .

وصفق عينيه مع ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف

- إن مجد الشيوعية الذي يستحق مثله سحق

هتف (كوليسكي) في غضب

- هل ستتركه يبث سمومه هذه في كل مكان ؟ هل ستسمح له بمهاجمة الشعوب بأكاذيبه هذه ؟!

قال الرجل في توتر شديد بلهجة

- لقد حاولت حتى الاتصال ببعض رجالنا ، عبر هواتفهم المحمولة ، ولكن الشبكة كلها لا تتصل بسبب مجهول .

عض (كوليسكي) شفتيه ، وهو يغمغم بغضب هادر

- إنه ... خبير الكمبيوتر في فريقه ..

ثم اتسعت عيناه بلهيب الغضب ، وهو يتابع بكل صرامة الدنيا :

- فليكن ... لسنا من نقف مكتوفي الأيدي ... انطلق فورًا ، على رأس فريق من أقوى رجالنا ، واظفروا بـ (الدهم) هذا بأي ثمن ... هل تفهم ؟! أي ثمن حتى ولو تحطم مبنى السفارة كله

قالها ... وقبل أن يواجه الشرطة في نفس اللحظة التي هرع فيها الرجل لتنفيذ الأوامر ، تابع في غضب أكثر حديث (سالي) وهي تقول

- إنه هذا ما نسعى إليه ... العثور على الأدلة

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب في هدوء

- ليس بالنسبة للجميع .

ثم عاد يميل إلى الأمام ، ويواجه كاميرات التصوير مباشرة ، مكملا بلهجة قوية :

ـ فالأمثال القديمة تقول ، إنه لابد من التصدي لمواجهة المصاعب ، أو كما يقول في بلادنا « لا يفل الحديد إلا الحديد .. »

قالت (ناديا) في حيرة :

ـ معذرة لست أدري ما الذي يعنيه هذا ؟!

أجاب بمنتهى الحزم :

ـ يعني أنه ، بالنسبة لمنظمة (العقاب) ، لسنا بحاجة إلى البحث عن نية أحد ، فليس في نيتنا رفع الأمر للقضاء ... بل سنحاربهم بنفس أسلوبهم ... لن نكتفي بدور الفريسة التي تطاردها كل وحوش الغابة ، وليس لها من هم سوى الفرار والنجاة بنفسها ... سنقلب الأوضاع رأسا على عقب ، وسنحاربهم أو نحطم سنواجههم ، إذا تحولت الفريسة إلى وحش كاسر ، يقاتل بكل قوته ، دون شفقة أو رحمة

ترجمت (ناديا) بدهشة بالغة ، وهي تقول

ـ وهل تطبقون هذا ؟!

ابتسم (أدهم) مجيبا :

ـ إننا نفعل بالفعل .

قالت بدهشة كبيرة :

ـ هذا أسلوب جديد ، لم نسمع به من قبل قط

حملت ابتسامته الكثير من الغموض ، وهو يقول

ـ ربما هو كذلك بالنسبة لك ، ولكنه بالنسبة لي مجرد تطوير عصري لأسلوب قديم ، واجهت منظمة شبيهة من قبل (*) عندما كنت أعمل وحدي ، أما هذه المرة ، فمعي فريق من الخبراء

سألته في حيرة حذرة :

ـ وهل تعتقد أنه من الحكمة أن تعلن خطواتك التالية على الملأ هكذا ؟!

(*) راجع قصة [illegible] المغامرة رقم (٨)

تجاوبه في سرعة ، وهو يلقي نظرة على ساعته

- بالتأكيد .. هذا سيربكهم ويستفزهم ويعصبهم والعصب سيفقدهم حكمة تقييم الأمور ، وبدونها تصبح الهزيمة أقرب إليهم من حبل الوريد ، مع تخبطهم ، وسخطهم ورغبتهم في تحقيق نصر سريع ، يعيد إليهم بعض كرامتهم المسكوبة

انعقد حاجبا (نورا) بشدة عند تلك النقطة وألقى سيجارته إلى ركن الحجرة في عنف .. ثم أشعل سيجارة أخرى ، شفطها في سرعة و(مخب) يعوي على الشاشة

- عجيب ! هل كل هدفك من هذه المعركة المباشرة ، هو أن تطبق استراتيجيتك هذا ؟! أمام عيون ومسمع ملايين المشاهدين بمن فيهم من رجال المخابرات أنفسهم .

ابتسم وهو يهز رأسه قائلا

- كلا .. هناك سبب آخر بالطبع .. فكما أخبرتك من

قبل ، في تجربتي السابقة كنت أعمل منفردا ، أما هذه المرة ، فنحن فريق كامل .. وزع أفراده أنفسهم في مساحة واسعة .. منذ فجر هذا اليوم ، وأحدهم كان مسئولا عن تغطية كل أنواع الاتصالات ، باستثناء البث التليفزيوني .. خلال هذا البث ، وكل منهم ينتظر إشارة مني .. سيتم بثها في الضربة الأولى ، التي ستحل بها جبهة موقف المنظمة (المناقب)

نفث (نورا) دخان سيجارته في توتر شديد ، وهو يغمغم بكل العصبية :

- ما الذي تريد قوله بالضبط ؟!

تابع (أدهم) وقد حمل صوته حزما غير محدود

- وفي غياب الاتصالات ، كانت هذه هي الوسيلة المثلى لبث إشارة البدء .

سألته (مخب) في ذعر

- منذ متى ؟

تجاهلها تماما هذه المرة ، وهو يستدير بكيانه كله إلى كاميرات التصوير ، قائلا

- الآن حانت اللحظة .. نفذ .

مع قوله ، انقطع التيار الكهربي في محطة البث التليفزيوني بغتة ، فأطلقت (زوشا) شهقة ذعر ، وصاحت :

- لا تصدقوه .. أعيدوا الأضواء .. ستفقدون أفضل سبق إعلامي حصلت عليه ، في حياتي كلها .. الأضواء بالله عليكم

مضت ثوان عصيبة ، قبل أن تسطع الأضواء مرة أخرى ، وتستقبل شاشات المشاهدين صورة المذيعة مرة ثانية .. وصورة (زوشا فيدروفيتش) .. وهي تحدق في مقعد (أدهم) بذهول ..

أما (أدهم) نفسه ، فلم يعد به أدنى أثر ..

لقد اختفى تماما ، وكأنما لم يكن هناك بعد ..

وبكل دهشتها وتوترها ، هتفت (زوشا) :

- أين ذهب ؟!

بجانبها (يوري) في عصبية ، وهو ينفث دخان سيجارته :

- ليس هذا ما يشغلني .. إنني أبحث عن تفسير آخر كلمة نطق بها .

سألته في حذر :

- أية كلمة ؟!

على الرغم منه ، ارتجفت شفتاه بصوته ، وهو يكرر كلمة (أدهم) الأخيرة :

- نفذ .

وانتفض جسد (زوشا) ..

بمنتهى القوة ..

* * *

شحب رئيس فريق المحاسبين في إحدى نقاط تجميع النقد ، التابعة لمنظمة (المافيا) الروسية في برهاق ، وخلع منظاره الطبي ، ليضعه على المنضدة أمامه ،

وهو يتابع بعينيه العقود الضخمة التي يتم نقلها إلى محرك كبير، تحت حراسة مشددة من رجال مسلحين بالمدافع الآلية، وقلبه رجل ضخم عابس الملامح.

- هل يمكنك أن نحصل على قدر من الراحة؟

أنت تعمل منذ [illegible] بلا توقف، ومن الواضح أن [illegible] المفروضة عليه، وستحتاج إلى ثلاث ساعات أخرى من العمل، و...

قاطعه الضخم بمجرد عصبية، وهو يعتدل في جلسته [illegible] في خشونة:

- واصل عملك.

ازدرد رئيس فريق المحاسبين لعابه في توتر، وغمغم في حذر:

- ربع ساعة فحسب.

زمجر الضخم مرة أخرى في وحشية مخيفة، مكررًا:

- واصل عملك.

زفر الرجل في خوف واستسلام، وعاد يلتقط منظاره، ويضعه على عينيه، ليواصل مع فريقه عملهم المرهق..

والواقع أن الأمر كله كان عجيبًا بحق..

فالمكان هو واحد من اثني عشر مثله، موزعة في أنحاء (روسيا)، وتخضع لحراسة قوية مكثفة من منظمة (المافيا) الروسية.

وإلى هذه الأماكن الاثني عشر، يتم توريد كل ما تحصل عليه المنظمة من نقد، من الإتاوات التي تفرضها على كل الشركات، والمتاجر، وحتى المحال الصغيرة، وكل ما تديره من أعمال حقيرة قذرة، كتجارة المخدرات، والتهريب، وألعاب القمار، والدعارة، والبلطجة، وسرقة السيارات، إلى القتل والاغتيالات لحساب بعض المتنفذين، في مختلف المجالات.

ولأن المنظمة ضخمة وممتدة في المجتمع الروسي

كما أن الفساد يكبر وينتشر في ظل الظروف الاقتصادية السيئة في البلاد .. فإن أرباح المنظمة تبلغ حداً رهيباً في كل دولة .. حتى إنها توضع في خزائن كبيرة .. ويتم نقلها بواسطة شاحنات من السيارات إلى تلك الأماكن .. حيث يتم عدها .. ورصدها .. وإعادة توزيع جزء منها على مصروفات الرواتب ، والمكافآت والرشاوى الضخمة ، التي يتم إنفاقها على عدد كبير من المسئولين ، في شتى المجالات ، كما يحصل كل زعيم من زعماء المنظمة على نصيبه .. ويوضع الباقي في خزائن خاصة .. أو يتم تهريبه إلى الخارج .. كودائع مصرفية ، أو عائدة بصورة شرعية إلى البلاد .

وفي بعض الأحيان يبلغ حجم النقود ، في هذه الأماكن .. ما يفوق ما تحويه خزانة بنك (موسكو) المركزي ثلاث مرات على الأقل ..

و .. وعلى الرغم من الحراسة البالغة .. التي تحيط بتلك الأماكن ، إلا أنها تحاط بسرية مضاعفة ، لحمايتها من أية محاولة للسرقة أو الاقتحام ..

وفي تلك الليلة بالتحديد .. كانت الأرباح غزيرة للغاية ، حتى إن الأماكن قد امتلأت بالنقود ، إلى حد أرهق فريق المحاسبين والمراجعين ، كما لم يحدث منذ فترة طويلة للغاية !

ولأن هذا أحد الأخبار الجيدة ، التي لابد من إبلاغها لـ (يوري ميلوفيتش) شخصياً .. فقد حاول المسئول الاتصال به عدة مرات ، قبل أن يقول في حدة :

ـ منذ أصيبت هذه الشبكة السخيفة اليوم .. لا يمكنني إجراء اتصال واحد .

هرع إليه أحد رجاله في توتر شديد ، وهو يهتف :

ـ (يجور) .. هل تتابع ما يعرضه برنامج (صباح جديد) ؟!

زمجر (يجور) في غضب ، قائلاً :

ـ لا وقت لدي لهذه التفاهات .

هتف الرجل ، وهو يلوح بذراعه في عصبية :

ـ بوسعك أن تثق بـ (ايجور) الأمر يخصنا هذه المرة .

انعقد حاجبا (ايجور) الكثين ، واستدار يشعر التقزز ثم يرجع ليلقي نظرة على شاشته و

وانتفض جسده كله من فرط الدهشة والذهول وهو يحدق مع الموجودين جميعاً ، في صورة (الدهم) على شاشته

وبكل عصبيته وتوتره ، هتف (ايجور)

ـ ما هذا بالضبط ؟! كيف يستضيفونه هكذا ؟!

كان (الدهم) يحسم اللقاء بكلماته الأخيرة ، ثم يشير بسبابته قائلاً كلمة الحسم

ـ هذا

ثم انقطع البث دفعة واحدة

وتوقف الكل عن العمل أيضاً

فريق المحسبين

رجال (الملعب)

و (ايجور) .

كلهم حدقوا في الشاشة السوداء في حيرة قلقة ، وغمغم (ايجور) بصوت عصبي

ـ هذا ؟ من الذي

قبل أن يتم عبارته دوى الانفجار

قنبلة مخلفة بمهارة ومدهشة داخل أحد أجهزة النقد ، تفجرت بمنتهى العنف داخل المجرى الرئيسي وتناثرت منها مادة حارقة ، أشعلت النيران في أكوام النقد داخله في لحظة واحدة

وبكل الذعر ، انطلق المحسبون يفرون من المكان ، وهم يطلقون صرخات عالية في حين راح (ايجور) قوة مدفعه الآلي بحركة عصبية ، وهو يصرخ في عصبية بشعة

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

مع آخر حروف كلمته ، دوى انفجاران أخريان عنيفان ، نسفا سيارتين من السيارات التي تحمل شحنة النقود ، وأثارا موجة هائلة من الاضطراب والهرج والمرج ، والنيران تنتشر في كل مكان

وعلى الرغم من أن المكان مزود بنظام إليكتروني مثيل لمكافحة النيران ، إلا أن أجهزة إطفاء الحريق لم تعمل على الإطلاق ، وكأنما أفسد خبير في الاتصالات والإليكترونيات عملها

وأمام عيون رجال (المافيا) الروسية ، وعلى الرغم من محاولاتهم اليائسة المستميتة ، راحت النيران تلتهم أكوام النقد بسرعة وشراهة ليس لها من مثيل ..

وهنا .. هنا فقط نجح (أيجور) في إجراء الاتصال بزعيمه (يوري إيفانوفيتش) بعد أن استعادت شبكة الاتصالات عملها مرة أخرى

وعبر الموجات اللاسلكية الرقمية ، راح (إيجور)

يصف ليوري ما حدث لزعيمه ، الذي اشتعل غضب هادر في أعماقه ، جعله يهتف في ثورة

- أريد رأس هذا الرجل يا (إيجور) .. أريد رأسه ورأس فريقه كله

هتفت (روشا) في قلق :

- حذار أيها الزعيم .. إنك تفعل ما يتوقعه المصري

لتستدير إليه (يوري) في حدة ، ويهوى على وجهها بصفعة قوية ، صارخًا :

- اخرسي

ألقتها الصفعة أرضًا في عنف ، ولكنها واصلت في ذعر :

- لقد قال إن الغضب سيفقدك حكمة اتخاذ القرار

بدا لحظة ، بكل ملامح الشراسة والوحشية على وجهه ، وكأنه سيفقأ عينيها ليمزقها إربًا ، إلا أن حاجبيه انعقدا فجأة في شدة ، كما لو أن عبارتها قد نجحت أخيرًا في بلوغ مخه ، في حين تعالى صوت (إيجور) ، عبر الهاتف المحمول ، وهو يهتف

- بم تأمر أيها الزعيم .. بم تأمر

التقط (بوري) نفساً عميقاً قبل أن يقول له في صرامة:

- ليس الآن يا (ميجور) .. ليس الآن.

وأنهى الاتصال، ثم التفت إلى (روشتا) التي نهضت من مقعدها، تمسح خيط الدم، الذي سال من ركن شفتيها، وقال في عصبية:

- ثلاث ضربات في وقت واحد يا (روشتا) .. بشارة منه .. على شاشة الكمبيوتر .. قام رجاله بثلاث عمليات في آن واحد .. هل تصدقين هذا؟ ثلاثة من أكبر مراكز تجميع المخدرات تم نسفها .. وحرق كل ما تحويه في وقت واحد .. إنها ثلاث ضربات مكثفة .. أكاد أفقد عقلي بسببه .. وتطلبين مني أن أحتفظ بهدوء أعصابي؟ هل تدركين كم خسرت خلال الدقائق القليلة الماضية؟ ما يربو على الثلاثين مليون من الدولارات .. هل تدركين ما الذي يعنيه هذا؟!

اقتربت منه في حذر، وهي تقول في انفعال:

- هذا ما يريدونه بالضبط .. أن تعصب حتى النخاع، وأن يصبح الغضب هو المحرك الرئيسي لتصرفاتك وقراراتك.

على الرغم من الغضب والثورة الهادرين في أعماقه، بدت له كلماتها منطقية للغاية، فأشعل سيجاراً جديداً، وهو يقول في حدة:

- لقد تجاوز كل ما تصورته من حدود .. أعترف بأنها أول خطوة لا يمكنني توقعها على الإطلاق.

قالت في سرعة، محاولة تهدئته:

- ولكنه ارتكب خطأ ضخماً بفعلته هذه، فكلنا نعلم أنه بث مباشر .. على الهواء مباشرة، وهذا يعني أنه لم يبتعد كثيراً بعد.

تألقت عيناه بشدة، وهو يهتف:

- بالضبط.

ثم التقط هاتفه الخلوي مرة أخرى ، مستطردًا:

ـ لمحة عبقرية يا (روشا)

وعندما ألقى أوامره هذه المرة ، انطلق فريق من رجاله لحصار منطقة البث ، مع أوامر مشددة ببذل كل جهد ممكن ، للإيقاع بـ (أدهم) ورفيقه

وكان هذا يعني أن القوات الرسمية ، التي يرأسها الجنرال (كوليمسكي) ستهدف نفسه ، قد تم تدعيمها بجيش وحشي غير رسمي ..

ويعني أن أبواب الجحيم ستنفتح دفعة واحدة

وعلى مصراعيها .

* * *

٤ ـ رد الفعل ..

سرت همهمة عصبية ، في حجرة الاجتماعات الرئيسية ، بمبنى المخابرات العامة المصرية ، والجميع يناقشون في انفعال تلك الخطوة غير المتوقعة ، التي اتخذها (أدهم) في (موسكو) ، ما بين مؤيد ومعارض ، ومتحمس ومستنكر ، حتى وقف المدير ، ليوقف الكل عن المناقشة والمحاورة ، حتى استقر على مقعده ، على رأس مائدة الاجتماعات ، وهو يقول في حزم :

ـ لقد سمعتم بالتأكيد خبر (موسكو)

علت الهمهمة تسري بينهم لحظة ، قبل أن يقول أحدهم في توتر :

ـ الواقع يا سيدي أن ما حدث في (موسكو) منذ دقائق قليلة ، يعد مهزلة بكل المقاييس ، والصحيحه

لأي جهاز مخابرات في العالم ، فمتى يتحول عميل ،
الذي يعتمد على السرية لكشفه إلى هذا النمط العلني
المستفز بحيث يظهر رجل مخابرات محترف على
شاشة تلفاز عام على الهواء مباشرة ، ليهزم لا
في المخابرات الروسية ويتحدى منظمة إجرامية عن

قال المدير في هدوء :

- أهذا كل ما يشغلك ؟!

اندفع آخر يقول في قلق :

- السيد (أدهم) عرض بمخاطرته عبر الصحيفة
هذه ، أمنه وسلامته ، وأمن فريقه وسلامته ليست ،
لكن الخطر والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ،
ما الذي يمكن أن يحدث خلال الساعات القادمة

هتف ثالث :

- هذا سيثير جنون الكل حتمًا .

قال المدير بنفس الهدوء :

- ربما كان هذا هو المقصود بالأمر كله

هتف الأول :

- ليس بهذا الأسلوب .

تركهم المدير يناقشون ويعترضون ، ويحتجون
بمنتهى القلق ، قبل أن يقول

- الآن ، وبعد أن عبر كل منكم عن رأيه ، دعوني
أتحدث بما أراه وبما تواتر لدينا من معلومات مؤكدة

ثم مال إلى الأمام ، وهو يكمل في حزم

- لولا في كل ما حدث ، وحتى هذه اللحظة ، لم
يشر (أدهم) ، أو يشير المخطط الروسية ، ولو بكلمة
واحدة إلى انتمائه أو انتمائه ، أو من أفراد فريقه
في المخابرات المصرية .

قال أحدهم معترضًا

- هذا واضح ضمنيًا

أشار المدير بسبابته قائلًا

- الفرق عظيم بين الأمرين يا رجل، وكلكم تعلمون هذا جيداً، وتدرسونه في أثناء دورات التدريب، التي تتلقونها في بداية التحاقكم بالعمل هنا.. التصريح شيء، والمفهوم الضمني شيء آخر تماماً، فمن حقك أن تعلنه، ومن الناحية الرسمية، لا شأن لنا بما يحدث في موسكو! بل وسيصبح من المستحيل أن نقنع شخصاً واحداً بهذا، بعد أن حول (ن - ١) الصراع إلى أوراق مكشوفة علانية هكذا، فالواقع أن مبادرته هذه تفيدنا بأكثر مما تصورت، لأنها تتعارض بشدة مع قواعد العقل والمنطق، ومع أبسط قواعد عمل المخابرات كما يقولون، وهذا ما سينظر إليه الآخرون أيضاً، وما سيجعلهم، بلا سبب ومنطق، يستبعدون فكرة انتماء (أدهم) وفريقه إلى المخابرات المصرية بأي حال من الأحوال.. ربما يتصورون أنه صراع بين منظمات دولية، أو أي شيء آخر، ما عدا أن يكون هنالك صراع مباشر علني، بين جهاز مخابرات، ومنظمة إجرامية.. فهذا ما لن يخطر ببالهم قط

تساءل آخر:

- هل تؤيد مبادرة العميد (أدهم) يا سيدي؟!

التقط المدير نفساً عميقاً، قبل أن يقول:

- (ن - ١) حالة خاصة، ليس في جهاز مخابراتك فحسب، ولكن بين كل أجهزة المخابرات في العالم أيضاً، وعلى عكس المعهود في عالم المخابرات، فإن مسيرته المدهشة ترتبط بتجاوزه لكل القواعد التقليدية المعروفة.. وأولها قاعدة السرية، التي لا يمكن أن تنطبق على شخص عالمي شهير مثله.. تحفظ كل أجهزة المخابرات العالمية اسمه وصورته وصفاته عن ظهر قلب.. ويسمي بعضها ملفه في أسمائه، باعتباره العدو رقم واحد لنشاطاتها العدوانية، في المنطقة العربية كلها.. وعندما نرغب في تقييم تصرف شخص مثله، لا بد أن نتجاوز كل الأعراف والتقليديات، والقواعد المعتادة، وأن ننظر للأمر باعتباره حالة خاصة، تحتاج إلى قواعد استثنائية

تماما .. ولو أنكم راجعتم أشهر عمليات المخابرات الناجحة .. في الصراع بيننا وبين العدو الإسرائيلي ، لأدركتم أن كل عملية منها قد تجاوزت القواعد التقليدية المعروفة .. في عالم الجاسوسية .. وهذا كان السبب الرئيسي لنجاحها(*)

كلماته جعلتهم يتبادلون جميعا نظرة صامتة .. تكشف عن أن الاقتناع قد بدأ يجد سبيله إلى عقولهم ، فتابع المدير بنفس الحزم :

- كانت النية تتجه .. قبل أن يتعقد الموقف هكذا ، إلى التفاوض رسميا ودبلوماسيا .. ولكن (ن - ١) نفسه طلب عدم القيام بهذا ، مؤكدا أن بإمكانه مع فريقه الخروج من الأزمة .. دون إحراج (مصر) بأي حال من الأحوال .

ابتسم أحد الرجال في عجب ، قائلا :

- هذا هو (أدهم صبري) الذي نعرفه .. حتى في أحلك المواقف ، يضع مصلحة (مصر) فوق كل اعتبار

(*) حقيقة ..

أشار إليه المدير ، قائلا :

- بالضبط .. ولكن السؤال الآن هو : هل يمكن أن يواجه (ن - ١) وفريقه دولة كاملة بمفردهم .. بإمكانياتهم المحدودة وحدها ؟!

قال أحد الرجال ، في قلق شديد :

- معذرة يا سيادة المدير .. ولكن السؤال الذي يسبق هذا الآن هو كيف سيجد العميد (أدهم) وسيلة للنجاة ، بعد أن أعلن تلك موقعه .. على هذا النحو السافر ؟!

ومرة أخرى ، تبادل الحاضرون جميعا نظرة صامتة ، دون أن يملك أحدهم جوابا .. فقد كان هذا هو السؤال الحقيقي ..

بعد أن أعلن (أدهم) ، على الهواء مباشرة ، أين يوجد بالضبط ..

كيف ؟!

* * *

انطلق رنين جرس الباب بثلاث دقات متفرقة، في ذلك المنزل الآمن، في قلب (موسكو)، فاندفع (شريف) نحو الباب في لهفة، وألقى نظرة على القادم، عبر عينه السحرية، قبل أن يفتحه في سرعة:

- حمدًا لله.

قالت (منى) في صرامة، وهي تسرع نحوه:

- بالروسية يا (شريف).. بالروسية.

ظهرت (ريهام) عند الباب، بشعر أشقر، وعينين زرقاوين، وزينة مبالغة، وقالت بالروسية، وهي تندفع إلى الداخل:

- أخيرًا.

أغلق (شريف) الباب خلفها، وهو يقول في لهفة متوترة:

- هل سار كل شيء على ما يرام؟

أومأت (ريهام) برأسها إيجابًا، وألقت نفسها على أقرب مقعد إليها، وهي تقول:

- بالتأكيد.. خطة الأستاذ كانت رائعة ومتقنة بحق.. لقد انشغل الكل بمتابعة ذلك اللقاء المدهش معه، على الهواء مباشرة، وأدهشتهم جرأته وثقته المفرطة، والأسلوب الذي واجه به الموقف كله، مما منحني فرصة ممتازة لزرع المتفجرات حيثما أريد، تحت حماية (علام)، و...

بترت عبارتها، تتساءل في لهفة قلقة، وهي تتلفت حولها:

- ألم يصل بعد؟!

هز (قدري) رأسه في توتر، مغمغمًا:

- إننا في انتظاره.

قالت بقلق شديد:

- كيف؟! لقد افترقنا بعد زرع المتفجرات، وفقًا للخطة، وكان ينبغي أن يصل إلى هنا قبل أن أصل أنا

حاولت (منى) أن تخفي قلقها المتزايد، وهي تقول:

- إنه يتقمص شخصية شاب عادي، وربما يعوقه هذا بعض الوقت.

هزت (ريهام) رأسها نفياً في توتر شديد، وهي تقول:

- على العكس.. عادته المصطنعة هذه ستساعده على أن يستقل الحافلة العامة، وأن يظفر بمقعد خاص، حتى الميدان الأحمر، ومن هناك يمكنه استخدام مترو الأنفاق؛ ليصل إلى هدفه خلال عشر دقائق فحسب.. [illegible] عليه أن يقطع مسافة طويلة سيراً على الأقدام، قبل أن يستقل سيارة أجرة إلى الشارع الموازي.

وانعقد حاجباها [illegible] قبل أن تتابع في توتر أكثر:

- فكيف لم يصل بعد؟!

غمغمت (منى)، وهي تلقي نظرة على ساعتها:

- (أدهم) أيضاً لم يعد بعد.



سألها (قدرى) بقلق مفزع

ـ هل تخبرك كيف سيعود ، بعد كل ما فعله ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وهي تجيب بصوت خنقته دموعها :

ـ إنه لا يخبرني بأي شيء ، عندما يقرر العمل وحده

ران على الجميع صمت ثقيل رهيب ، وكل منهم يفكر في مصير العالم ، ثم لم يلبث الدكتور (أحمد) أن قطع ذلك الصمت ، قائلًا :

ـ ما دام لم يعلنوا شيئًا بشأنه ، فهو بخير بإذن الله .

التفت الكل إليه بعيون متسائلة ، فتابع وقد بدا قلقه يطل من نفسه في نبراته

ـ على أنه ، بعد كل ما فعله (أدهم) هذا الصباح ، فإنهم سيتكتمون على إعلان ظفرهم به رسميًا

قالت (منى) بصوت مرتجف

ـ يجب أن يعلنوا هذا ، حتى يظفروا به

اتسعت عينا (شريف) في ارتياع ، ثم لم يلبث أن هتف فجأة

ـ قد يخفونه رسميًا ، وليس في سجلات معلوماتهم

ثم اندفع نحو جهاز الكمبيوتر النقال ، الذي أحضره (أسعد) ، وهو يضيف :

ـ ولقد حصلنا على شفرتهم السرية الجديدة بالفعل

التف الكل حوله في لهفة وترقب ، وأصابعه تتقافز في سرعة على أزرار الكمبيوتر النقال ، المتصل بأسلاك الهاتف

ومضت دقيقة من الصمت ، وهو يتصفح شبكة المعلومات الروسية على شاشة الكمبيوتر ، ثم غمغم (قدرى) في عصبية :

ـ كيف يمكنك التعامل مع هذا الشيء ؟! إنه يستخدم اللغة الروسية فحسب !

غمغم (شريف) ، وكل انتباهه مركز على الشاشة

- لقد تدربت على هذا في (القاهرة) ، قبل أن نبدأ مهمتنا الرئيسية ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف في ارتياع

- يا إلهي !

صاحت به (منى) في ذعر :

- ماذا حدث ؟!

أدار إليها عينين ملتاعتين ووجه شاحب ، وهو يجيب بصوت مرتجف :

- لقد ظفروا به .

وهوى قلبها بين قدميها ..

كالصخرة ..

* * *

لا أحد يستطيع أن يدعي أن جهاز المخابرات الروسي

متخاذل أو ضعيف .. ففي غضون دقائق ست ، من انقطاع التيار الكهربي لمباني ، في ستوديوهات التصوير التليفزيوني الخارجية ، حتى كانت المنطقة كلها محاصرة بإحكام مدهش ، في دائرة يصل قطرها كيلومتر واحد ..

لا أحد كان يمكنه الخروج من تلك الدائرة ، أو حتى الدخول إليها ، دون أن يتم تفتيشه وفحصه ، ومراجعة أوراقه بمنتهى الدقة والحزم ، مهما كانت هويته أو وظيفته .

لا استثناءات على الإطلاق

حتى الشرطة لم يكن باستطاعتها الإفلات ، من نطاق محكم كهذا ..

وفي نشاط حازم صارم ، راح (ميروسكي) ، المساعد الأول لجنرال (كوليمسكي) ينتقل ، من مكان إلى مكان ، في دائرة الحصار ، ليتأكد من السيطرة التامة على الموقف ، ومن أن كل شيء يسير على ما يرام

وعبر الهاتف الخلوي ، هتف به الجنرال (كوالسكي) في عصبية :

- هل ظفرتم به ؟!

أجابه (ليبروسكي) في حذر :

- معذرة يا جنرال .. لن يفلت منا أبدًا

صاح الجنرال في غضب :

- لا أريد عبارات جوفاء يا (ليبروسكي) .. أريد ذلك المصري وكل أوراقه .. هل تفهم ؟!

كتم (ليبروسكي) توتره ، وهو يغمغم :

- أفهم يا جنرال .. أفهم ..

أنهى المحادثة وهو يشعر بتوتر زائد في أعماقه ، جعله يصرخ في رجاله :

- لا تستثنوا أحدًا .. هل تفهمون ؟!

ثم عاد يتحرك في انفعال ، متفحصًا في حنق

- تلك الحقيرة (سالي) .. كيف ستصيب شخصًا كهذا ، على الهواء مباشرة ؟! إنها تحتاج إلى درس قاسٍ ، تدرك منه مدى ما يعنيه نص القانون من أولوية ، على كل الطموحات السخيفة الأخرى .. أقسم إن ..

قبل أن يتم عبارته الغاضبة الحمقاء ، ارتفع رنين هاتفه المحمول مرة أخرى ، فالتقطه بحركة سريعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلًا :

- (ليبروسكي) .

أتاه صوت جاف ، يقول :

- لقد توصلنا إلى معلومة جديدة مهمة ، بشأن ذلك المصري ، ولقد طلب منا الجنرال (كوالسكي) إبلاغك إياها فورًا .

انعقد حاجبا (ليبروسكي) ، وهو يسأل في صرامة :

- من المتحدث ؟!

أجابه الرجل في سرعة :

- (يوجين ديمتري) يا كولونيل .. من قسم المعلومات

ألقى (سيروسكي) نظرة على شاشة هاتفه المحمول ، وتحقق من أن الرقم الذي يحدثه لم يتم رصده عليها ، وهي خاصية لا تتمتع بها سوى الهواتف الأمنية رفيعة المستوى .. في معظم دول العالم (*) ، قبل أن يسأل في اهتمام :

- ماذا لديك يا (ديمتري) ؟!

حمل صوت الرجل الكثير من الاهتمام والحزم ، وهو يقول :

- المصري متنكر في هيئة دبلوماسي أمريكي ولقد نجح في خداع سائق سيارة الدبلوماسي نفسه ، وأقنعه بأن يحمله إلى استوديوهات التصوير التليفزيوني الخارجية .

انعقد حاجبا (سيروسكي) في شدة ، وهو يردد في عصبية :

(*) حقيقة .

- دبلوماسي أمريكي ؟!

تابع الرجل باللهجة ذاتها :

- إنه يستغل الحصانة الدبلوماسية ، التي ستمنع أي رجل أمن روسي من إيقاف السيارة ، و ...

قاطعه (سيروسكي) في حدة :

- إنني أفهم هذا .

أنهاها ، وأنهى المحادثة على نحو عصبي ، وهو يغمغم :

- دبلوماسي أمريكي ؟! يا له من داهية ! هل يتصور أنه سيضعنا في حرج سياسي ، ثم ...

ضم قبضته ، وهو يدير الأمر في رأسه مرة أخرى ، قبل أن يندفع في عصبية :

- أعتقد أن الأمر يحتاج إلى أمر مباشر من الجنرال (كوليسكي) نفسه .

التقط مرة أخرى هاتفه المحمول ، و ...

وفجأة ، ظهرت السيارة الدبلوماسية السوداء عند المنعطف ، وهي تحمل على مقدمتها العلم الأمريكي ، فأفسح لها رجال الأمن التابعين لـ (نيروسكي) الطريق ، وفقاً للقواعد الأمنية المعتادة ، إلا أن هذا الأخير اندفع يعترض طريق السيارة بمدفعه الآلي ، هاتفاً بكل صرامة :

- قف .

أوقف السائق الشيخ السيارة بالفعل في نفس اللحظة التي اندفع فيها بعض رجال (نيروسكي) للإحاطة بها بمدافعهم الآلية ، موجهة إلى رءوسهم ، ففتح السائق ، الذي يرتدي زياً رسمياً أنيقاً ، النافذة المجاورة له ، وهو يقول في استنكار :

- ماذا هناك أيها الضابط ؟ هذه السيارة دبلوماسية ، تتبع السفارة الأمريكية ، وليس من حقكم

قاطعه (نيروسكي) في صرامة شرسة :

- أوراقك .

بدت دهشة أكثر استنكاراً على وجه السائق العجوز ، وهو يقول :

- ولكن هذا يتعارض مع ..

قاطعه (نيروسكي) بصرخة هادرة :

- اخرج من السيارة ، وأبرز أوراقك ، وإلا أطلقنا النار .. وهذا إنذار أخير .

احتقن وجه السائق ، وبدا عليه الغضب ، ولكن صوتاً هادئاً أتى من المقعد الخلفي ، قائلاً :

- هذا يتعارض مع القواعد والأعراف الدبلوماسية يا رجل ، ولكن لا بأس .. أعطه الأوراق ، ولكن لا تغادر السيارة ، فوجودك داخلها يمنحك حصانة خاصة ، تنتفي فور خروجك منها*

انعقد حاجبا (نيروسكي) في شدة ، ومال برأسه ، ليلقي نظرة على ذلك الجالس في المقعد الخلفي للسيارة الدبلوماسية ، قبل أن تتألق عيناه بانفعال

* : حقيقة ، فالسيارة الدبلوماسية تعتبر امتداداً ، بمثابة جزء من الدولة التي تحمل علمها ، والاعتداء عليها دون سند قانوني ، بمثابة الاعتداء على أرض الدولة نفسها

كان رجلاً قوياً، ممشوق القوام، أسود الشعر والعينين،
له شارب كث يمنحه عمراً يفوق ما توحي به ملامح
وجهه الوسيم، ويرتدي معطفاً أسود يلائم أناقته، ويبدو
هادئاً واثقاً، على نحو استفز الروسي، فهتف في
صرامة صارخة:

- من الذي يتحدث بالضبط ؟!

أجابه الرجل في رصانة لا تخلو من رنة صارمة:

- (هربرت جون سميث)... الملحق الثقافي للسفارة
الأمريكية، وأحمل جواز سفر دبلوماسياً، و...

قاطعه (سيروسكي) في سخرية:

- وماذا يفعل الملحق الثقافي الأمريكي في الضواحي
في ساعة مبكرة كهذه ؟!

ناول الملحق الشاب أوراقه لـ (سيروسكي)، وهو
يقول في عصبية:

- أعتقد أنك تتجاوز حدودك القانونية بهذا الضبط،
و...

قاطعه (سيروسكي) بصرخة وحشية، وهو
ينتزع الأوراق منه بغلظة:

- اصمت.

ثم ناول الأوراق لأحد رجاله، قائلاً في صرامة:

- افحصها بمنتهى الدقة.

وعاد يلتفت نحو الملحق الثقافي، مستطرداً في
شراسة:

- لم أسمع جوابك بعد.

انعقد حاجبا الدبلوماسي، وهو يقول:

- (جك) على حق... أنت تتجاوز حدودك القانونية
والأعراف الدبلوماسية على نحو سافر.

اشتعل وجه (سيروسكي) غضباً، وارتفعت فوهة
مدفعه الآلي نحو الدبلوماسي، وهو يقول في شراسة
وحشية:

- اخرج من السيارة.

هتف السائق :

ـ ليس هذا من حقك .

صرخ (ليبروسكي) مكررًا وهو يجذب إبرة مدفعه في حدة :

ـ قلت : اخرج .

التقط السائق هاتف السيارة ، وهو يقول في عصبية

ـ سأتصل بالسفارة ، لـ ...

بدا القلق على وجه الدبلوماسي ، وهو يمسك كتفه ، قائلا :

ـ كلاَّ .. لا تفعل .

سألت عينا (سيروسكي) ، مع رد الفعل الواضح وأيضًا في أعماقه من أن هذا الدبلوماسي يخشى إبلاغ الأمر للسفارة بسبب ما ، وخاصة عندما هتف في توتر :

ـ سأفعل ما يطلبه الروسي .

ثم استطرد في عصبية ، وهو يفتح باب السيارة

ـ ربما ينهي هذا الأزمة كلها

تراجع (ليبروسكي) خطوتين ، وأشار إلى رجاله ، فصوبوا مدافعهم في تحفز إلى الدبلوماسي ، الذي غادر السيارة في توتر ، وهو يقول

ـ أحذرك من أن كل هذا سيتم إبلاغه إلى رؤسائك رسميا فيما بعد ، لاتخاذ الخطوات والإجراءات القانونية اللازمة ضدك ، وضد الجهة التي تنتمي إليها .

قال (سيروسكي) في سخرية

ـ سأتحمل النتائج

ثم مد يده ، وجذب شارب الدبلوماسي في قوة ، مستطردًا في صرامة :

ـ بعد أن أزيل تنكُّره .

أطلق الدبلوماسي صرخة ألم ، هاتفًا في غضب مستنكر

- ماذا تقول ؟!

احتقن وجه (ليبروسكي)، وسرت ارتجافة عصبية في جسده كله، وهو يقول:

- إنه .. إنه شرك حقيقي.

هتف الدبلوماسي بغضب شديد:

- بالطبع أيها الغبي المغفل .. ماذا كنت تتوقع ؟!

ازداد احتقان وجه (ليبروسكي)، وهو يحدق في الدبلوماسي بذهول مذعور، وقد بدا له أنه قد فهم الخدعة كلها ..

إنه (أدهم صبري)، يعبث بهم كعادته، ليجعلهم سخرية للجميع ..

ذلك الاتصال الزائف الذي تلقاه، كان منه بالتأكيد

خبير الكمبيوتر والإلكترونيات في فريقه كان قادرًا على التسلل إلى شبكة الاتصالات، ومنع رقم هاتف من الظهور على شاشته، ليوحي إليه بأنه

يمثل اتصالاً من قسم المعلومات بجهاز المخابرات الروسي بالفعل ..

ثم دفعهم نحو هدف زائف ..

هدف يكفي لإرباكهم، وتوريطهم في مشكلة دبلوماسية كبيرة، ويمنحه الفرصة والوقت أيضًا، ليتسلل خارج منطقة الحصار، في أثناء انشغالهم بما يتصورون أنه لحظة الظفر والانتصار

يا للداهية!

- سأتحدث إلى الأجهزة الرسمية، لترد على هذه الإهانة ..

انتزعه الدبلوماسي من أفكاره بهذه الصيحة، وهو يعود إلى سيارته، فلم ينبس (ليبروسكي) ببنت شفة، من فرط شعوره بالقهر والمهانة، وخطف هويته منه بحركة عصبية، ليتبعه رجاله كلهم في آلية، في حين هتف الدبلوماسي بكل الغضب، وهو ينتزع أوراق السيارة من يد الجندي

- ستترون نتائج لعلتكم هذه

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع رنين هاتف (نيروسكي) المحمول، فالتقطه بحركة آلية محبطة، وهو يقول:

- (نيروسكي).

كان من الواضح أنه قد تعرف صوت محدثه على الفور، وهو يعتدل في وقفة عسكرية تجريبية قائلا

- أوامرك يا جنرال.

ثم انعقد حاجباه في شدة ... وهو يستمع إليه في انتباه، قبل أن تتألق عيناه، ويهتف في لهجة ظافرة

- إذن فقد ظفرنا به ... رائع يا جنرال ... رائع

انعقد حاجبا الدبلوماسي بدوره، وهو يقرب سماعته

- هيا بنا ... (جاك) ... دعنا نغادر هذا المكان الموبوء

انطلق السائق بالسيارة على الفور، خارج دائرة الحصار، ولم يكد يتجاوزها حتى قال في توتر قلق

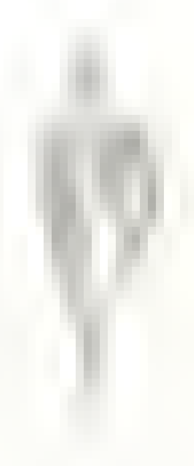
- ما الذي يعنيه بأنهم قد ظفروا به؟!

نطقها السائق الشيخ باللغة العربية، وبصوت مألوف تماما..

صوت (أدهم)..

(أدهم صبري).

* * *



٥ ـ الأسير ..

« الصادق »

نطق (يورى بيغلوفيتش) الكلمة في بطء وحزم ، وهو يلتفت نحو سيجارته في قوة جعلته (روش) في حيرة حذرة :

ـ ماذا تعني ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ لو أنني ألعب دور (ادهم صبري) هنا ... ويجب أن أنجو من حصار عصبي كهذا ، فالشيء الذي يمكن أن أفعله ، هو أن أعكس الأدوار ... ألعب دور الصادق ، الذي لن يبالي أو يهتم به أحد ، وأصبح رجلاً آخر في دور الدبلوماسي ، الذي يرسل التحذير الوهمي بشأنه

قالت في حيرة :

ـ وهكذا تتصور أن أمر السيارة الدبلوماسية كذبة رائعة ، ما داموا قد راجعوا أوراقها ، ووجدوا أنها سليمة تمامًا ؟!

مال إلى الأمام ، وهو يتطلع نحو سيجارته مرة أخرى قائلاً في انفعال :

ـ لأن هذه هي الفكرة العبقرية الوحيدة ، التي تجعله يعبر الحصار ... تحت سمع وبصر رجال المخابرات الروسية .

تساءلت في حزم :

ـ ورجالنا أيضًا .

تراجع ، مغمغمًا في ضيق :

ـ ورجالنا أيضًا

ثم عاد يميل إلى الأمام بغتة ، متابعًا في صرامة :

ـ الأوراق يمكن تزويرها بمنتهى الدقة ، وكذلك لوحات أرقام السيارة الدبلوماسية ، ولا تنسى أن أحد أفرادهم ،

الذين كان من المقرر ترحيلهم ، خبير في التزييف والتزوير ، لا يشق له غبار .

انعقد حاجبا (روث) ، وانطلقت صاعقة معنوية في قسماتها ، وهي تقول :

- خبير تزييف وتزوير ، وخبيرة متفجرات ، وخبير اتصالات وإلكترونيات .. يبدو أن فريق المصريين يتكون كله من خبراء !

ألقى سيجارته في ركن القاعة بحدة ، قائلاً :

- نحن أيضاً لدينا خبراء لا يشق لهم غبار ، في شتى المجالات .

وبسرعة التقط سيجارة أخرى وأشعلها ، مستطرداً في عصبية :

- وهذا يعني أن الحرب القادمة هي حرب خبراء .

حول إليه (بن عازار) ، فقد تألقت في نفسه فكرة ما ، فقد انعقد حاجباه على نحو يوحي بالتفكير العميق ، فسألته هامسة في حذر :

- (يوري) .. هل ..

قطعها بإشارة صارمة صامتة من يده ، وهو يواصل تفكيره ، الذي هيمن على كيانه كله لست دقائق كاملة ، ظلت هي خلالها بصمت مطبق ، وهي تراقبه في اهتمام بالغ ، حتى اعتدل فجأة ، ورفع عينيه إليها بحركة حادة ، قائلاً :

- بالضبط .

انتفض جسدها مع قوله المباغت ، وقالت في دهشة :

- بالضبط ماذا ؟!

هب من مقعده ، هاتفاً في انفعال :

- إنها حرب خبراء .

بدت على وجهها حيرة شديدة ، فتابع في حماسة :

- اعترف بأن (أدهم صبري) هذا قد أربكني بحق ، عندما باغتني بخطوة لا يمكن توقعها أو حسابها ، ولكنه كاد يدفعني إلى فقدان أعصابي ، لولا أن تماسكت بنفسي في اللحظة الأخيرة .

كانت تخبره بأنها هي التي كبحت اندفاعه، لولا أن خشيت ثورته، فآثرت الصمت، وتركته يتابع في انفعال:

ـ وهذا لا يعني أنني قد فقدت سيطرتي على الأمور كل ما في الأمر هو أن المعطيات قد تغيرت فجأة، ومن الطبيعي أن أعيد تنظيم الأمر، بناء على المعطيات الجديدة، بحيث أستعيد مقاليد الأمور، والسيطرة بما يتفق مع أهدافي الرئيسية، ومع خطة السيطرة العالمية في الوقت ذاته.

راح يتحرك في المكان بانفعال شديد، مكملا:

ـ المصريون قرروا الانتقال من خطة الدفاع إلى الهجوم، في محاولة للدفع إلى الانتقال بالتبعية من الهجوم إلى الدفاع، ولكن رجال المخابرات الروسية أوقعوا بأحدهم... فما الذي نتوقعه أن يفعلوه، في خطوتهم القادمة؟!

غمغمت في حيرة وحذر:

ـ ماذا؟!

قال في سرعة وحزم:

ـ أن يحاولوا إنقاذ زميلهم.

قالت مستنكرة:

ـ مستحيل! إنهم يعلمون أن هذا أول ما سيعتمد عليه رجال المخابرات، وأول ما سيستعدون لمواجهته والتصدي له، وسينصبون كمينًا للمصريين لو حاولوا حتمًا.

أشار بسبابته، قائلاً:

ـ لا تنسي أن المصريين يعتمدون على خبيرين متميزين بحق، في رأسهما هذا خبير تزييف وتزوير، بإمكانه تقليد أي هوية، حتى الهويات الممغنطة المشفرة، الخاصة برجال المخابرات الروسية، وخبير اتصالات عبقري، يستطيع اختراق كل نظم وشبكات الأمن الإليكترونية، وتجميدها أو تحييدها، على نحو يفتح أمامه كل سبيل.

وتألقت عيناه على نحو مخيف، وهو يضيف بشغف

- ولكن ما عليك انتظاره ، هو اللحظة التي يبدأ فيها محاولة الاختراق هذه .

سألته في اهتمام بالغ :

- وعندئذ ، ماذا ستفعل ؟!

تألقت عيناه أكثر ، ورسمت شفتاه ابتسامة وحشية عجيبة ، وهو يجيب :

- عندئذ سنعرف الجواب للسؤال ... من منا يمتلك أفضل الخبراء ؟! من ؟!

قالها ، وانطلقت من أعماق حلقه ضحكة مخيفة

ضحكة وحشية شرسة ..

للغاية ..

* * *

دار عقب ذلك الذي شعر به (علاء) وهو يستعيد وعيه في بطء ، في تلك الزنزانة الصغيرة المحكمة

مقر مبنى المخابرات الروسية ، على مقربة من (الكرملين)(*) ..

وفي بطء ، راح عقله يستعيد الأحداث كلها ، دون أن يفتح عينيه ، أو يتحرك من مكانه ... على ذلك الفراش الضيق في الركن

كان كل شيء يسير على ما يرام ، بعد نجاحه و(ريهام) في نسف مخازن النقد الثلاثة ، التابعة لمنظمة (المافيا) الروسية ، وتدمير ملايين الدولارات ، التي جمعتها المنظمة في أعمالها القذرة الحقيرة

انفصل هو و(ريهام) ، وفقا للخطة التي وضعها (أدهم) ، واتجهت هي في طريقها إلى ذلك المنزل الآمن في حين لعب هو دور الشاب الأعمى ، وهو يقطع شوارع (موسكو) بعصاه الخشبية

ثم استوقفه رجل المخابرات الروسي

(*) الكرملين : مجموعة من المباني التاريخية في مركز العاصمة (موسكو) ، تضم كاتدرائية (أوسبنسكي) والكاتدرائية (أرخانجلسكي) وبرج (إيفان) الكبير ، والقصر الكبير ، الذي يستخدم قصرا للحكم ، إلى جوار مجموعة مبانٍ تضم مكاتب الحكومة ، ومسرح كبير للمؤتمرات

كان تصرفاً روتينياً، فرصة توتر الموقف، ولكن قد تجاوز بالفعل نقطتين أخريين بسلام، مع صحبة الكثير من الهدوء والثقة في نفسه، هناك وهو يسلم رجل المخابرات أوراقه، التي صنعتها (الدري) بأصابعه الذهبية العبقرية، حتى صار من المستحيل على أي عين، مهما بلغت دقتها أو خبرتها أن تكشف زيفها أو حتى الشك في أمرها.

ولقد راجع رجل المخابرات الأوراق بالفعل وأعادها إليه، وكاد كل شيء ينتهي في سلام، لولا مصادفة عجيبة، لا يمكن أن تحدث إلا [illegible]

طفل صغير كان يلهو مع والديه، على الرغم من الجليد الذي يغمر كل شيء، ولكن يحمل مصباحاً يدوياً كبيراً، فقد فجأة وهو يطلق ضحكة طفولية عابثة ويطلق ضوء المصباح في وجه (علاء)، وكأنه جذبه منظره الداكن المميز..

ولأن الأمر كان مباغتاً ولا يمكن توقعه على الإطلاق، فقد جفل (علاء) غريزياً وتقلص وهو يتراجع برأسه في حركة حادة، و

وانتبه رجل المخابرات الروسي إلى تلك الحركة الغريزية، وأدرك معها أن ذلك الشاب الواقف أمامه، لا يمكن أن يكون عادياً بأي حال من الأحوال، على عكس ما تؤكد أوراقه..

وفي ظروف كهذه، يبلغ فيها التوتر ذروته، كان من الطبيعي أن يسحب رجل المخابرات الروسي مسدسه، وهو يصرخ برجاله:

ـ انتباه

وما حدث بعدها كان حتمياً بالتأكيد

لقد تحرك (علاء) في سرعة، ولكم رجل المخابرات الروسي في أنفه، ثم وثب إلى الأمام وركل المدفع الآلي، من يد أحد رجاله، قبل أن ينطلق بكل قوته، محاولاً الفرار من المكان كله

ولكن رجال المخابرات ظهروا مع مدافعهم وجنودهم من كل صوب، كما لو أن الأرض تفرزهم مع كل خطوة..

وبكل قوته، ومهاراته، وتدريباته المكثفة، قاتل (علاء)..

وقاتل..

وقاتل..

حتى جاءت تلك الضربة القوية على مؤخرة عنقه، و ....

ولم يستعد وعيه إلا داخل هذه الزنزانة

وعلى الرغم من أن وعيه قد استعاد صفاءه إلى حد كبير، إلا أنه ظل راقدًا في سكون، وعقله يدرس الموقف كله..

لقد سقط.

هذا أسوأ ما في الأمر..

سقوطه سيعد نقطة ضعف كبرى في خطة استاذه، التي تعتمد على إثارة عصبية الكل إلى أقصى حد، حتى يفقدوا السيطرة على أعصابهم، وتتخبط قراراتهم

وانفعالاتهم، ويصبح من السهل توجيه ضربة قاصمة إليهم

تمامًا مثلما يفعل ملاكم محترف، مع خصم يفوقه حجمًا وقوة..

إنه يحاور ويناور، ويستفز خصمه على الحلبة، حتى يرهقه، ويعصبه، ويدفعه إلى القيام بحركة غير مدروسة..

وعندئذ يستغله بمهارة، ويهوى على فكه بالضربة القاضية..

وسقوطه في قبضة الروس سيفسد الخطة كلها حتمًا،
ولكن أكثر ما يقلقه هو سعي (منى) لإنقاذه، و

« هل استعدت وعيك تماما »

قطع أفكاره صوت رجل المخابرات الروسي (سيروسكي) الساخر، وهو يقف عند باب الزنزانة، ففتح عينيه، واعتدل يجلس على فراشه، قائلًا في هدوء رصين..

- لقد استعدت وعيك منذ ربع الساعة تقريباً

نتيجة «بيروسكي» في جسمك

- لقد هذا ... لقد رصدت أجهزتنا [illegible]

ثم ابتسم في ظفر وهو يشير إلى ما حوله مستطرداً:

- فهذه الزنزانة التي تجلس فيها ... زنزانة من طراز خاص جداً ... وتخصص هذا ... فهي مزودة بنظم تكنولوجية متطورة للغاية، بحيث ترصد أنفاسك وهمساتك، ومبنية من مادة مضادة للرصاصات والديناميت وحتى للقنابل الذرية، ولا يمكن فتحها إلا بواسطة شفرة إليكترونية خاصة، مع الممر الذي يقع في نهاية الزنزانة، فهو مؤمن بوسائل رصد من كافة الأنواع، فهو يرصد الأصوات والحركة والموجات الحرارية أيضاً، بحيث لا يمكن أن يعبره مخلوق [illegible] ... وتحت رقابة أربع كاميرات مخفية، يراقبها طاقم من أفضل الأمن طوال الأربع والعشرين ساعة.



وضع (علاء) إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو
يقول في لامبالاة :

- وما المطلوب منى الآن ؟! أن أنهار بسرعة
حتى تضعف مقاومتى عند استجوابى بعنف

رفع (ليبروسكي) حاجبيه في دهشة مصطنعة
وهو يقول :

- استجوابك بعنف ؟ ولماذا يا رجل ؟!

ثم مال نحوه ، مستطردًا في سخرية :

- إننا حتى لن نحاول استجوابك على الإطلاق

ظهر شيء من التوتر في عيني (علاء) ، فأطلق
(ليبروسكي) ضحكة عالية ظافرة ، وهو يتراجع
معتدلًا ، قبل أن تتألق عيناه ، وهو يقول :

- إننى أدرك جيدًا أن شخصًا مثلك لن ينهار ويعترف
أبدًا ، مهما تعرض للضغط أو القهر أو التعذيب ، فمثلك
يفضلون الموت على خيانة رفاقهم ، و(أدهم صبري)

لم يكن ليصطحبك إلى أول فريق بعودته ، لو لم يكن
واثقًا من هذا .

وتألقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يعود لمقعده ،
مضيفًا :

- لقد أتينا بك إلى هنا ، فقط لنستثير حواس رفاقك

سأله (علاء) في حذر :

- ستثيرون حواسهم ؟ وما الذي يمكن أن يعنيه
هذا بالضبط ؟!

أطلق (ليبروسكي) ضحكة مجلجلة ، قائلًا :

- أن يسعوا لإنقاذك

ثم غادر الزنزانة ، مضيفًا ، وهو يوليه ظهره :

- هذا كل ما نريده منهم .

انعقد حاجبا (علاء) في شدة ، و(ليبروسكي)
يغلق خلفه باب الزنزانة ، ذي الرتاج الإلكتروني
الشفري المعقد ..

هذا ما يريدونه بالتأكيد ..

وما يخشاه هو ..

حتى النخاع ..

* * *

« هذا لا يروق لي أبدا ... »

هتف الجنرال (كوليسكي) بالعبارة في عصبية شديدة، وهو يلتفت نحو (يوري يفتوفيتش) داخل قاعة الممثلين بالمسرح القديم في قلب (موسكو)، ثم ألقى نظرة متوترة على (روشا)، التي تقف مطوقة المساعدين على مسافة متر واحد منه، وقد بدت عضلاتها المفتولة مخيفة، وغير متناسقة مع جسدها الساحر، قبل أن يضيف بنفس العصبية:

- إنك تتصرف وكأنك القائد الفعلي الذي يحكم ويدير كل خطواتنا، في المخابرات الروسية.

ابتسم (يوري) في برود، ونفث دخان سيجارته في عمق، قبل أن يقول:

- لو أنكم بالذكاء الكافي، لما احتاج الأمر لتدخلي يا جنرال.

هتف (كوليسكي) في غضب:

- كف عن غرورك هذا يا (يوري)... إنك تتحدث عن أقوى جهاز أمني في (روسيا) و(أوروبا) معا.

قال (يوري) في سرعة:

- وعلى الرغم من هذا، فقد كنتم ترتكبون بعض الأخطاء القاتلة، من فرط عصبيتكم وعسر [illegible]... ولولا أن تدخلت أنا، لما عادت الأمور إلى نصابها، ولا تنس أن الغضب سيتسبب لكم في النهاية [illegible] أمام رؤسائكم على الأقل.

انعقد حاجبا الجنرال (كوليسكي) في عصبية، وهو يقول:

- مازلنا نختلف على أمور جوهرية، فما زلت أصر على أنه كان من الضروري أن نعتقل تلك الشبحة (نشوى)، وأن نستجوبها بمنتهى العنف والصرامة،

تدرك أنك قد ارتكبت خطأً فادحاً، عندما استضفت، وعلى الهواء مباشرة، عدو الشعب الروسي كله

هز (بوري) رأسه نفياً، وهو ينفث دخان سيجارته في قوة، ثم قال:

- خطأ يا جنرال؟ خطأ وأي خطأ

ثم نهض من مقعده، وراح يدور حول الرجل، متابعاً في حزم:

- من الواضح أن (أدهم صبري) قد استغل ثورة إعلامية مفاجئة، جعلته يصمم على العلانية في خطواته المقبلة، ولو أننا نرغب في الظفر به حقاً، فمن الخطأ أن نثير ذعر رجالنا، أو نسحق عزيمتهم على هذا النحو، لقد سيجرئونهم بمعرفة كيف خدعهم، وكيف انتقل معهم إلى استوديوهات التصوير الخارجية، وهو متنكر في هيئة أخرى، وهذا يكفي ليبدو الأمر منطقياً طبيعياً، دون إسراف يمنعهم من الاستجابة لاتصالاته بهم، في المرات القادمة، لو قرر مد خطته الإعلامية هذه

مط (كوليبسكي) شفتيه، مغمغماً في سخط:

- هذا لا يروق لي.

عاد (بوري) إلى مقعده، وألقى سيجارته في ركن الغرفة، وهو يعقد حاجبيه، قائلاً في صرامة:

- ولكنك ستفعل ولو مرغماً يا (جنرال)... أليس كذلك؟

احتقن وجه (كوليبسكي)، وهو يقول في توتر بالغ:

- وهل لدي بديل آخر؟!

أشار إليه (بوري) بسبابته، قائلاً في غلظة:

- بالضبط... ليس لديك بديل آخر... أي بديل.

غمغم (كوليبسكي) في عصبية شديدة:

- بالتأكيد.

ثم تساءل في عصبية أكثر:

- وماذا عن ذلك الأسير؟! هل ستتدخل في أمره أيضاً؟!

قال (يوري) في برود :

ـ إنه لمبروكم .

ثم استدرك في سرعة وصرامة :

ـ ولكن (ليبروسكي) يعلم ما يجعلني أهتم بشأنه

احتقن وجه (كوالسكي) في شدة ، وهو يهتف :

ـ (ليبروسكي) ؟ هل تريد أن تكون لي صديقًا عندي لأول مرة ...

فاتسعت (يوري) في صرامة ، وهو يلوح بالأسطوانة المدمجة التي تحوي قائمة الجواسيس :

ـ بعض الجواسيس مثلك ... نعم يا جنرال ... هو واحد من عشرين رجلاً آخر من مختلف الرتب والمناصب ... لك تعلم هذا جيدًا ... أليس كذلك ؟

قال (كوالسكي) في غضب عصبي :

ـ كان ينبغي أن تخبرني .

هب (يوري) من مقعده ، وهو يصرخ بغضب هادر :

ـ لا أحد يملي شروطه على (يوري إيفانوفيتش) ، هل تفهم ؟!

امتقع وجه (كوالسكي) ، وهو يغمغم :

ـ أفهم يا سيد (يوري) ... أفهم بالتأكيد .

أشعل (يوري) سيجارة أخرى ، ونفث دخانها في وجه (كوالسكي) مباشرة ، وهو يقول في صرامة شرسة :

ـ ما دمت تفهم ، عد إلى عملك الآن ، وتظاهر بأنك ستحصل على ضيف كريم في (روسيا) وأمثالها ، ولكن لا تنس لحظة واحدة أنك تعمل لحسابي ... لحساب (يوري إيفانوفيتش) .

عض (كوالسكي) شفته السفلى ، وهو يتمتم في عصبية مريرة :

ـ وكيف يمكنني أن أنسى ؟!

أمسكت (روشا) ذراعه، فقبله في صرامة

- هيا يا جنرال .. فقد انتهت المقابلة.

تركهما الرجل يعودان إلى الخارج في استسلام ذليل
في حين تحول (بوريس) إلى يسترخي في مقعده الوثير،
وهو ينفث دخان سيجارته في بطء، حتى عادت إليه
(روشا)، فقالت في حذر:

- (بوريس) .. لا تغضب مني .. ولكنك تسرف كثيراً
في التدخين هذه الأيام.

غمغم وهو غارق في تفكيره العميق:

- ربما.

ثم رفع عينيه إليها، مستطرداً في حزم مباغت:

- أريد الجنرال (فاسيلوف) .. اتصلي به فوراً،
وأخبريه أنني أريد مقابلته، في أقرب وقت ممكن..
حددي له موعداً بعد ساعة واحدة .. في موقعي
الجديد.

سألته في قلق:

- ما الذي تخطط له بالضبط؟

شرد ببصره في شرود، قائلاً:

- في موقف كهذا، ومع حمقى يصعب السيطرة
عليهم، الأفضل أن يتحرك المرء بأقصى سرعة ممكنة،
لبلوغ ما يسعى إليه.

تساءلت في حذر:

- الإيقاع بالمصريين؟

تألقت عيناه على نحو بعث في نفسها الخوف،
وهو يجيب:

- بل السيطرة على العالم.

نطقها بصرامة وحشية، تشير إلى أن الساعات
القادمة ستشهد أموراً قد تغير وجه العالم كله
إلى الأبد ..

* * *

دار (شريف) عينيه على شاشة الكمبيوتر، ثم التفت
ونظر إلى (أدهم) مباشرة، وهو يقول في توتر:
- كل البيانات الخاصة برنامج (علاء) موجودة على
شبكة المعلومات السرية الخاصة بالمخابرات الروسية.

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة، وداعب ذقنه بسبابته
في تفكير عميق، في حين تمتمت (زينب) في قلق:
- هل واثق من أنهم لا يستطيعون معرفة موقعك
إذا ما تسللت إلى شبكتهم السرية؟"

هز رأسه نفيًا، وهو يقول:

- البرنامج الذي ابتكرته يجعلني أصنع شبكة وهمية
من الاتصالات قبل أن أقتحم شبكة معلوماتهم، بحيث
تقودهم محاولة التعقب إلى هواتف في [illegible]
و [illegible]، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية
على نحو عشوائي مربك، قبل أن يتوصلوا إلى خط
الاتصال الفعلي، وأنا أعمل بحيث لا أمنحهم الوقت
الكافي للوصول إليه، في كل مرة.

تنهدت (منى) [illegible] في [illegible]
- المهم ألا يصيبوا [illegible] هناك.

هز (أدهم) رأسه، قائلاً:

- [illegible] أظنهم يصيبونه بسوء.

[illegible]، وهو غارق في تفكيره العميق، فتطلع إليه
شقيقه الدكتور (أحمد) في صمت، دون أن يعلق،
في حين [illegible] في مرارة عصبية:

- لماذا يحتفظون به إذن؟!

[illegible] إليه (أدهم) [illegible] في حزم:

- هذا هو السؤال.

ثم استطرد بتفكيره العميق مضيفًا:

- السؤال الثاني هو: كيف يحصلون هذه المعلومات
على شبكتهم السرية، وهم يدركون أننا نستطيع
اختراقها؟!

سألته (منى) في قلق:

- هل تعتقد أنه فخ ؟!

أجابها في حزم :

- ألديك أدنى شك في هذا ؟!

بدا القلق على وجوههم جميعاً ، فقال (أسعد) ، وهو ينهض من مقعده :

- باستطاعتي جمع بعض المعلومات و ...

فقاطعه (أدهم) :

- كلا .. لقد أصبحت وجهاً مألوفاً ومطلوباً لهم بعد حادثتك مع الدبلوماسي الأمريكي .

عاد (أسعد) يجلس ، قائلاً في توتر :

- هل ستتركه لديهم إذن ؟!

هز (أدهم) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- إنهم واثقون تماماً من أننا سنفعل .

وصمت لحظة ، ثم استسلم بنفسه للتفكير العميق ...

- وهذا ما يبنون عليه خططهم كلها .

بدا لهم الأمر معقداً ، عسيراً إلى أقصى حد ، فشملهم صمت رهيب ، وكل منهم يتطلع إلى الآخرين ، قبل أن يغمغم (شريف) في توتر :

- لو نجحت في اختراق شبكة أمنهم الداخلية ، فسيمكنني إبطال عمل كل نظم الأمن هناك ، و ...

فقاطعه (أدهم) في حزم :

- وهذا ما يتوقعونه منك بالضبط .

ثم اتجه إلى مقعد كبير ، مواجه للنافذة ، وهو يضيف :

- ولا ينبغي أبداً أن نفعل ما يمكنهم توقعه .

سألته (منى) في حيرة بائسة :

- ماذا يمكن أن نفعل إذن ؟!

أشار بيده ، وهو يستقر على المقعد ، ويوليهم ظهره ، متمتماً :

- هذا ما أبحث عنه .

قالها ، وأسبل جفنيه ، وترك جسده يسترخي في المقعد الوثير ، على عكس عقله الذي راح يعمل بسرعة الصاروخ ، بحثًا عن حل ، مخرج من هذه الأزمة .

أما الآخرون ، فقد عاد الصمت الثقيل الرهيب يخيم عليهم ، وهم يتطلعون إليه ، وفي عقولهم يتردد سؤال واحد مخيف ..

هل توجد وسيلة لتجاوز هذه الأزمة ؟

هل ؟!

* * *

٦ - الخطة ..

لم تكد تلك البرقية الشفرية السرية تصل من (موسكو) ، عبر قناة اتصال خاصة موثوقة ، حاملة توقيع (أدهم صبري) ، حتى تم ترجمتها فورًا ، وإرسالها إلى مدير المخابرات العامة المصرية شخصيًا ، وفقًا لآخر التعليمات الرسمية .

وفي مكتبه ، طالع المدير البرقية في اهتمام شديد ، قبل أن يقول لنائبه في قلق :

- الأمور تتطور بسرعة في (موسكو) ، والموقف يزداد خطورة وتعقيدًا ، على نحو مقلق .

قال نائبه ، وهو يشير إلى تقرير آخر :

- من الواضح أيضًا أن (المافيا) الروسية تعمل بكل قوتها ، فهذا التقرير يشير إلى أن بعض المنتمين إليها قد استأجروا (حبيب أندرس) ، عبقري الكمبيوتر

والاتصالات الهائلة، والمستشار الإلكتروني الأول لشركة (موكب)، ومنحوه مبلغ ضخم، ذا سمعة الصدار، مقابل يومين من عمل لم يفصح عن طبيعته بعد، ولكنهم حملوه بطائرة خاصة، يملكها أحد كبار رعايا (العقرب)، إلى (موسكو) مباشرة، وخبراؤنا يعتقدون أنه سلاح جديد، سيواجهه خبيرنا (شريف)، الذي يعمل ضمن فريق سيادة العميد (أدهم).

انعقد حاجبا المدير بشدة، وهو يغمغم:

— (العقرب الدرسي) شخصياً؟! من الواضح أن (العقرب) قد أدركت طبيعة الصراع، والفروق في إمكاناته بكل ثقلها، بعد أن سببت (ب ـ ١) في خسارتها لكل تلك الملايين.

أومأ نائبه برأسه إيجاباً، وهو يقول:

— هذا صحيح.. طبيعة هذا العصر تضع التكنولوجيا والاتصالات على قمة ساحة الصراع.

مط المدير شفتيه، وهو يعاود قراءة برقية (أدهم)، قبل أن يقول في حزم:

— أصدر الأوامر لكل رجالنا في (موسكو)؛ بجمع كل المعلومات التي يطلبها (ب ـ ١)، وبأسرع وسيلة ممكنة.

أسرع النائب يلقي التعليمات.. ويصدر الأوامر المطلوبة، عبر مجموعة من البرقيات الشفرية السرية.. في حين التقط المدير تقرير.. هو وارد حديثاً من (باريس).. وراح يقرؤه في عناية، حتى عاد إليه نائبه قائلاً:

— لقد بدأت عملية جمع المعلومات بالفعل.

أشار إليه المدير بالتقرير، قائلاً:

— هل طالعت هذا؟!

أومأ النائب برأسه إيجاباً، وقال:

— نعم.. ولقد أدهشني في الواقع، على الرغم من أن كل الشواهد كانت تشير إلى النتيجة نفسها.

هزّ المدير رأسه، قائلاً:

- العجيب أن هذا شعوري أيضاً ، عندما طالعت
ما توصل إليه معمل الفحص الجنائي في (باريس) ،
والذي يؤكد أن الأشلاء التي تخلفت عن انفجار تلك
السيارة هناك تخص (سونيا جراهام) بالفعل ، وعلى
نحو لا يمكن أن يتطرق إليه الشك *

قال النائب ، مشيراً بيده :

- لقد أدهشني أن تلقى أفعى (الموساد) المسهبة
هذه مصرعها على هذا النحو الضعيف ، وكأنما كنت
أتصورها خالدة لا تموت .

تنهد المدير ، قائلاً :

- لكل شيء نهاية .

ثم سأل في اهتمام :

- ولكن ما مصير ابن (أدهم) ، في هذه الحالة ** ؟
(عقب مصرع أمه ، وجهل والده لمكانه)

(*) راجع قصة (الأبطال) .. المغامرة رقم ٢
(**) راجع قصة (القصة الأخيرة) .. المغامرة رقم ٩

هز النائب رأسه في أسف ، مغمغماً :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده أعلم .

قال المدير في حزم :

- لا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي هكذا .. من حق
(ن - ١) أن يحصل على إجابة لسؤاله ، بعد أن
تأكد مصرع (سونيا جراهام) .

ثم تراجع في مقعده ، مستدركاً :

- ولكن بعد أن يعود إلينا (ن - ١) نفسه .

سأله نائبه في اهتمام قلق :

- هل تعتقد أنه سينجح بالفعل (إنقاذ النقيب (علاء)) ؟!

مط المدير شفتيه ، وهز رأسه قائلاً :

- ما من قوة في الأرض يمكنها منعه من هذا .

قال النائب في قلق أكثر :

- ولكن الروس يدركون هذا أيضاً ، وسيكونون في
انتظاره حتماً .

أومأ المدير برأسه إيجابًا، وهو يغمغم:

ـ ما من شك في هذا.

وشرد ببصره وتفكيره بضع لحظات، قبل أن يضيف في حزم:

ـ ولكن (ن ـ ١) ليس مبتدئًا، وهو يدرك كل هذا جيدًا، ومن المؤكد أنه سيضرب ضربته بأسلوب لا يمكن أن يتوقعه أحد أبدًا.

غمغم نائبه:

ـ كل الأساليب يمكن أن تتوقعها أجهزة المخابرات، فلديهم مئات الخبراء في كل المجالات، وعقول يمكنها استنتاج ما لا يمكن أن يخطر ببال الشخص العادي.

أجابه المدير في حزم أكثر:

ـ (ن ـ ١) يدرك هذا أيضًا.

ثم تراجع في مقعده ببطء، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، والتقى حاجباه في تفكير عميق، وهو يضيف:

ـ وهذا ما يجعلني أتساءل: ماذا يمكن أن يفعل (ن ـ ١)، في موقف كهذا؟!

نعم .. هذا هو السؤال ..

ماذا يمكن أن يفعل (ن ـ ١)، في موقف كهذا؟!

ماذا؟!

* * *

حدق (شريف) مبهورًا فيما يصنعه (قدري)، وتابع أصابعه الذهبية، وهي موزعة على عملها بمهارة وبراعة مدهشة، قبل أن يسأله مشدوهًا:

ـ كيف يمكنك أن تفعل هذا؟!

أجابه (قدري)، وهو منهمك في عمله:

ـ كل شيء في الوجود ينمو مع الخبرة والمران.

هتف (شريف) مبهورًا:

ـ ولكنك موهوب أيضًا، وإلى حد مدهش.



[illegible]

توقفت أصابع (فخري) عن العمل دفعة واحدة، والتفت إلى (شريف)، قائلاً:

- هل يثير الأمر حماستك إلى هذا الحد؟

هتف (شريف) في حماسة:

- بل يثير انبهاري، لو شئت الدقة.

تطلع إليه (فخري) بضع لحظات في صمت وتفكير، قبل أن يقول في اهتمام:

- أنا أيضاً راقبت عملك، وانبهرت به كثيراً، فعلى الرغم من أن الكمبيوتر قد صار جزءاً مهماً من عملي، ومن المحتم أن أجيد التعامل معه، إلا أن كل ما أفعله به لا يتجاوز قطرة، مما تفعله أنت به.

قال (شريف) في حماسة:

- إنه فارق توقيت فقط يا سيد (فخري)، فأنت بدأت التعامل مع الكمبيوتر، بعد سنوات من العمل اليدوي والعقلي، أما أنا فقد بدأت أتعامل معه، وأنا بعد في العاشرة من عمري، والجيل الأصغر يتعامل معه

منذ نعومة أظفاره ، وأنت تعلم المثل الشهير الذي يقول « التعليم في الصغر كالنقش على الحجر » .

ابتسم (قدري) قائلاً :

- أسلوب لبق لتهوين الأمر على كهل مثلي ، ولكن الواقع أنك عبقري موهوب بحق .

تهللت أسارير (شريف) وهو يهتف :

- أهذا رأيك حقًا ؟!

تجاهل (قدري) السؤال عن غير عمد ، وهو يسأله في اهتمام :

- قل لي .. هل ستهويك عصبة التسليح والتشييد هذه ؟!

هتف (شريف) في حماس :

- بشدة .

مال (قدري) نحوه ، قائلاً في جدية :

- عظيم .. هذا ما كنت أنتظره منذ زمن طويل .

ردد (شريف) ، في حيرة متسائلة :

- ما كنت تنتظره ؟!

تابع (قدري) بنفس الجدية والاهتمام ، وكأنه لم يسمعه :

- في رأيي ، أن الزمن القادم هو زمن الكمبيوتر والتكنولوجيا المتطورة .. فطائف الهوايه لم تعد محصوره ومقتصرة فحسب على ضرب أشبه بالهوايات المحدودة التي تتصل بالأقمار الصناعية ، وشبكات الإنترنت ، ونظم الأمن الإلكترونية (*) .. وفي غضون سنوات قليلة ، لن تعود هناك حاجة أو قيمة لمهارات الهواية في مضمار هذا .. بقدر ما سيحتاج الأمر إلى خبراء في الكمبيوتر والاتصالات .

وتسللت نبرة حزن إلى صوته ، وهو يضيف :

- باختصار .. الزمن القادم هو زمنكم أنتم .

هتف (شريف) ، في حماسة حقيقية

(*) حقيقة ..

- محال ... العباقرة مثلكم لا ينتهي زمنهم أبدًا

نشر (قدري) يديه، قائلًا في توتر

- دعك من هذه المجاملات، واستمع إلي جيدًا

ثم مال نحوه، مستطردًا في حزم

- عندما تنتهي هذه الأزمة، وسنفتح القصة ... وما بقينا على قيد الحياة، فسأعتبرك تلميذي ... وعندئذ تتولى زمام الأمر من بعدي

هتف (شريف) مبهورًا:

- حقًا ؟!

ثم استدرك في سرعة:

- ولكنني أصر على أنك ستظل على القمة

ابتسم (قدري)، وهو يستمع إليه لحظة في حماس، ثم لم يلبث أن عاد إلى ما كان يصنعه، وعادت أصابعه الذهبية تغزل عملها شديد الإتقان، وهو يقول في صرامة مباغتة:

- الدرس الأول ... لا تحقق معصمك أبدًا

تجيبه (شريف)، في سرعة وصدق

- أنا لم أفعل قط.

ومرة أخرى، ابتسم (قدري) في حنان جارف، وقد نما في أعماقه شعور لم يعرفه قلبه بحق من قبل قط ..

شعور الأبوة.

وفي نفس اللحظة التي ملأ فيها هذا الشعور كيانه، كانت (منى) تراقب (أدهم)، الذي يؤدي عمله بمنتهى الدقة والإتقان، قبل أن تسأله في حذر:

- إنها جميلة ... أليس كذلك ؟

سألها وهو منهمك في عمله

- من هي ؟!

قالت في غيرة واضحة:

ـ مذيعة التليفزيون (نادية هيدروفيتش)

توقف عن عمله ، والتفت إليها ، يسألها في دهشة :

ـ وما الذي يذكرك بها الآن ؟

قالت في شيء من العصبية :

ـ لم تكن هناك فرصة تحري لسؤالك عنها بعد عودتك من ذلك اللقاء معها .

تطلع إليها لحظة في صمت ، قبل أن يعاود عمله ، مجيبًا في هدوء :

ـ مجرد لقاء يحتوى مداعبات التلفاز من الصحفيات

ثم رمقته بنظرة غير مباشرة ، لتترك بصيص الصمت ، وهي تقول :

ـ ألم يكن هناك مكان آخر للقائكما الأول ، بخلاف حجرة نومها ؟!

أجابها بنفس الهدوء ، وهو يواصل عمله

ـ كان هذا أفضل ما يصنع التأثير المطلوب ، فهي تستخدم جهازًا متطورًا لحمايته سريتها من الدخلاء ، وعندما تفتح عينيها لتجسس لمسها ، ستدرك على الفور أنها تتعامل مع جهة قوية

حسبته ، من فرط صمتها ، أنها ستكتفي بهذا القدر ، إلا أنها لم تلبث أن سألته مرة أخرى ، ورنة الغيرة تعود أكثر وضوحًا إلى صوتها ونهجتها

ـ ولماذا كانت ترتدي هناك ؟!

أجابها ، وصوته يكتسب شيئًا من الصرامة

ـ ما يرتديه النساء عادة في حجرات نومهن

تساءلت في توتر :

ـ وهل كان ..

التفت إليها بصرامة مفاجئة ، قائلًا

ـ (منى) .. هل تذكرين ما نحن بصدده بالضبط ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقاومت دمعة تجاهد للفرار من عينيها ، وهي تقول :

- بالتأكيد .

عاد إلى عمله ، وهو يقول بنفس الصرامة

- عظيم .. تصورت لحظة أنك قد نسيت هذا!

شعرت أنه تشاغل ، سمع تلك الدمعة من الفرار باستماتة ، فأشاحت وجهها متظاهرة بهبة العمل ، وهي تغمغم

- ألم تصل المعلومات من (القاهرة) بعد ؟

لاحظ تلك الرنة الباكية في صوتها ، ولكنه اعتصر قلبه لتجاهلها ، وهو يجيب :

- ليس بعد .

سألته وهي تمسح دمعها ، وتجاهد لاستعادة طبيعتها

- لست أدري لماذا لا نحصل على المعلومات من رجالك هنا مباشرة ، بدلاً من إرسالها إلى (القاهرة) ، ثم إعادتها إلينا هنا .

أجابها ، وهو يضع اللمسات الأخيرة لعمله المتقن

- إنه أسلوب مثالي للتأمين ، فلو انكشف أمر أحد رجالنا مصادفة ، وتم تعقبه ، فسيكتشف الروس أو رجال (الموساد) مصدر الأمر ، مما يفقدنا أقوى ورقة في هذا الصراع غير المتكافئ .. وهي أننا نعرف أين هم ، وهم يجهلون أين نحن .. أما عندما تأتينا المعلومات من (القاهرة) ، فهي تأتي مؤمنة .

ثم نهض .. مضيفًا :

- ومن المؤكد أن وصول المعلومات التي طلبتها سيغير أمورًا كثيرة في المرحلة القادمة من الصراع .

وصمت لحظة ، ثم تمتم في حزم :

- لو أن هناك مرحلة قادمة .

وانتفض قلب (منى) بين ضلوعها في عنف مع عبارته هذه ..

فلكنها تدرك مدى ما سيحتوى عليه عمله القادم من مخاطرة هائلة .. كانت تشعر بقلق وخوف يسيطران على كل ذرة من كيانها ..

وفى أعماقها .. وعبر غريزة الأنثى المسيطرة على كيانها ، يولد شعور قوى بأن المرحلة القادمة لن تمضى بسلام ..

لن تمضى كذلك ..

أبدًا ..

* * *

انعقد حاجبا الجنرال (فاسيليوف) فى شدة ، وهو يحدق فى وجه (يورى) بدهشة مستنكرة .. هتف :

- الآن ؟!

أومأ (يورى) برأسه إيجابًا ، وهو ينفث دخان سيجارته القوية .. قائلاً فى صرامة شديدة :

- نعم .. الآن يا جنرال .. سنبدأ فى تنفيذ مغامرتنا الكبرى الآن .

تراجع (فاسيليوف) فى مقعده ، قائلاً فى استسلام :

- الأمر ليس هينًا أيها الزعيم .. كل شيء فى مجال الجهاز يتم بمنتهى الدقة ، وبأوامر رسمية مباشرة ، والكميات التى نطلبها لا يمكن أن تخرج دون أن يشعر بأمرها عشرة رجال على الأقل .

سأله (يورى) فى صرامة :

- وكم يبلغ ثمن هؤلاء الرجال العشرة ؟

بدا النفور على وجه (فاسيليوف) ، وهو يقول :

- هذه الأمور لا تدار على هذا النحو أيها الزعيم

كرر (يورى) فى صرامة وحشية هذه المرة :

- كم يبلغ ثمنهم ؟!

صمت (فاسيليوف) بضع لحظات ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه .. قبل أن يقول فى حزم :

- ليس من الضرورى أن يكون لكل شخص ثمنه

قال (يورى) فى حدة :

- الحياة علمتنى أن أشك فى كل شخص فى الوجود .

ثم التفت إلى الجنرال (فسيلوف) ، قائلاً فى صرامة :

- أعتقد أن الكولونيل (سيرجى كوربوف) قد خالف هذه القاعدة .

لم يكد الجنرال (فسيلوف) ينطقها ، حتى شعر بالندم على كل حرف خرج من بين شفتيه ، مع ذلك الانقلاب الشيطانى الرهيب ، فى ملامح (يورى إيفانوفيتش) الذى هب من مقعده بحركة حادة ، واندفع نحو الجنرال ، فهتفت (روشا) فى توتر :

- الرجل لم يكن يعنى ما ..

قاطعها (يورى) ، وهو يميل نحو الجنرال بحركة أجبرت هذا الأخير على التراجع فى توتر ، وزعيم المافيا الروسية الجديد يصرخ فى وجهه :

- الكولونيل (كوربوف) كان ثمنه بضعة جرامات من الـ (C4) .

حدق الجنرال (فسيلوف) فى وجهه لحظة فى توتر بالغ ، قبل أن يزدرد لعابه ، قائلاً فى خفوت ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة :

- فهمت .

ظل الموقف جامدًا بينهم لحظة ، شعرت (روشا) خلالها بكل توتر العالم ، قبل أن يتراجع (يورى) ، قائلاً فى حماسة ، وكأنما تلاشت كل انفعالاته دفعة واحدة :

- سنحتاج فى البداية إلى كميات محدودة ، تكفى كل منها لنسف قرية صغيرة فحسب .. هل يمكنك تدبير هذا ، فى وجود الرجال العشرة ، الذين تتحدث عنهم ؟!

تنحنح (فسيلوف) ليستعيد جأشه ، قبل أن يجيب :

- يمكننى تدبير هذا ، دون بعض مستندات الصرف الزائفة ، ولكن المشكلة أنه لو تحدث أحدهم ، فربما يجتذب إليه انتباه وشكوك رجال الأمن ، وهذا قد يفسد العملية كلها .

التقى حاجبا (يوري)، وراح ينفث دخان سيجارته في عصبية، وهو يدرس هذا الاحتمال الجديد، قبل أن يقول في صرامة:

- فليكن.. سنتعامل مع الأمر من الزاوية الصعبة.

ثم عاد إلى مقعده، مستطردًا بلهجة آمرة:

- سأمنحك ثلاث ساعات فحسب، لتحديد موقف هؤلاء الرجال العشرة.

هتف (فاسيليوف) معترضًا:

- ثلاث ساعات فحسب؟!.. هذا يحتاج إلى...

قاطعه (يوري) بإشارة صارمة من يده، قبل أن يتابع بنفس اللهجة الآمرة:

- كل ما نريدُه منك هو تحديد أمر واحد، بالنسبة لكل منهم.. هل يمكن شراؤه أم لا؟.. وأعطنا قائمة بأسماء غير المتعاونين؛ لنضمن ألا يمثلوا أية عقبة.. عندما تحين اللحظة المناسبة.

سأله (فاسيليوف) في حذر:

- وكيف يمكن أن نضمن هذا؟

تألقت عينا (يوري) في شراسة، وهو يتطلع إليه في سخرية، قائلًا:

- كم تظنهم حقًا؟!

امتقع وجه (فاسيليوف) لحظة، قبل أن يغمغم:

- بل أفهم.

التقط (يوري) نفسًا عميقًا من سيجارته، قبل أن يقول في صرامة:

- هيا.. اذهب لتنفيذ ما أمرتك به.

طالعه الجنرال في استسلام، وغادر المكتب صاغرًا، فالتفتت (روث) إلى (يوري)، متسائلة في حيرة:

- كنت أظنك ترغب في الحصول على مجرد غطاء لأعمالنا هنا، بأكبر قدر ممكن من الضجيج!

هز كتفيه، ونفث دخان سيجارته، قائلًا:

- هذا أمر طبيعي.. فالضجة التي ستصحب سرقة

طلب العلاج السم، وعلاج الأعصاب القاتل، هي التي ستجعل لعمليتي قيمتها وشهرتها، وهي التي ستدفع العالم بأسره جدًا في تهديداتي، وخاصة عندما ترتبط هذه التهديدات بسلسلة من التجارب العملية الكافية لبث الذعر في القلوب في قارات العالم الست المأهولة (*).

سألته في توتر:

- هل ستستخدم الغاز بالفعل؟

أجابها في صرامة:

- هذه هي الوسيلة الوحيدة لتأكيد جدية الموقف.

ونفث دخان سيجارته في قوة، قبل أن يتابع في اهتمام:

* قارات العالم الست هي: [illegible] أفريقيا، آسيا، أوروبا، أستراليا، أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية، وتعتبر القارة القطبية (أنتاركتيكا) هي القارة السابعة، ولكنها تعتبر عمليًا [illegible] تقريبًا من البشر.

- ولكن نجاح العملية كلها يعتمد على الحصول على كميات محدودة من تلك الغازات القاتلة في البداية، ثم نقلها بلا مشكلات أو توترات، ونقلها إلى أماكن مجاورة ملاصقة للتجارب، في قارات العالم الست، بحيث يكون مستعدين للعمل فور القيام بالعملية الكبرى، وقبل أن تتخذ الدول العظمى أية إجراءات تأمين نفسها، هذا سيصنع التأثير المنشود، بأقصى سرعة ممكنة.

بدت لها خطته جريئة عبقرية، فرفعت حاجبيها وخفضتهما في انبهار، قبل أن تسأله في شغف:

- وأين ستجري تجربتك الأولى؟

تألقت عيناه بجنون وحشي مخيف، وهو يلقي سيجارته أرضًا، ويسحقها بقدمه، ويجيب في سادية واضحة:

- هنا.

ثم ازداد تألق عينيه الوحشيتين، وهو يسألها:

- خمني من سيكون ضحية التجربة الأولى؟

قلبها، ويرجع يطلق ضحكة ساخرة عالية، في حين

لقد نجح [روش] ، لقد أدركت الجواب ، الذي لا يحتاج إلى كثير من الذكاء

الجواب الذي حصل في ذهنه صورة فريق خاص جداً ..

فريق مصري .





٧- حرب إليكترونية ..

زفرت (ريهام) في توتر، وهي تجلس على مقعد وثير، في ذلك المنزل الآمن، وتراقب (شريف)، الذي انهمك بحواسه كلها في العمل الذي أسنده إليه (أدهم)، وأصابعه تتقافز على أزرار الكمبيوتر المتنقل في سرعة ودقة ومهارة، والمعلومات تتراقص على شاشة الكمبيوتر، مع تتابع إبحاره داخل شبكة معلومات جهاز المخابرات الروسي.

وفي توتر، غمغمت (ريهام):

- يبدو أنني الوحيدة بدون عمل اليوم.

ابتسم الدكتور (أحمد صبري) قائلاً:

- وماذا عني ؟!

هتفت في سرعة:

- أنت مثلي.

ثم اعتدلت في حرج، مستطردة:

- معذرة يا دكتور، ولكنني أقصد أن الغرض الرئيسي من وجودك هنا، طبي بحت، ألا وهو مد يد العون لـ(أدهم)، إذا ما تعرض جسده لذلك الانهيار الذي تتوقعه.

ابتسم الدكتور (أحمد) في مرارة، قائلاً في خفوت شديد:

- هذا لو حدث الانهيار في ظروف يمكنني فيها مد يد العون إليه.

لم يبد أنها قد سمعت تعليقه الخافت، وهي تتابع في توتر:

- أما نحن.. فالغرض من وجودنا هنا هو أن نقاتل.

غمغم (شريف)، وهو يواصل عمله على الكمبيوتر في انتباه:

- لا تقلقي.. سيحين دورك قريباً.. وربما

قبل أن يتم عبارته، اندفع (سعد) إلى المكان، هاتفاً في توتر شديد:

- أغلق هذا الاتصال بسرعة

التفت إليه (شريف)، قائلًا في دهشة متوترة:

- مستحيل! أمن وسلامة البلاد يعتمدان على ما نقوم به الآن، في شبكة معلوماتهم السرية

هتف (أسعد) في عصبية:

- ولكن المعلومات الواردة من (القاهرة) تؤكد أن اختراقك لشبكة معلومات المخابرات الروسية صار أمرًا بالغ الخطورة، إلى حد مخيف

رفع (شريف) سبابته، قائلًا في توتر:

- ربما يجهلون في (القاهرة) أنني أستخدم برنامجًا تمويهيًا خاصًا، و....

قاطعه (أسعد)، وهو يقول في عصبية:

- (الصائد) الروسية استأجرت (فيليب أندرسن)

لم يكد (شريف) يسمع الاسم، حتى انتفض جسده كله في عنف، وهو يهتف في ذهول مذعور:

- المتسلل؟!

هتف (أسعد):

- هو نفسه، بشحمه ولحمه..

انعقد حاجبا (شريف) في توتر بالغ، وهو يدير عينيه في شاشة الكمبيوتر النقال، فسأله الدكتور (أحمد) في قلق:

- من (أندرسن) هذا؟!

أجابه (شريف) بكل توتر الدنيا، وهو يتابع ما يظهر على شاشته:

- إنه أبرع أهل الأرض في علم اتصالات الكمبيوتر والشبكات، ولا أحد يفوق عبقريته، حتى (بيل جيتس) نفسه* في هذا المضمار.

ثم هز رأسه، مستطردًا في أسف

---

* بيل جيتس: أشهر مالكي شركات الكمبيوتر والبرمجيات، وأكثرهم ثراء، وهو مؤسس ومالك شركة (ميكروسوفت)، ومصمم برنامج التشغيل الرئيسي (ويندوز)، والذي به أكثر برامج التشغيل انتشارًا ومبيعًا في كل أنحاء العالم

- ولكنى لم أتصور قط أنه من الممكن استئجاره، بأى ثمن كان.

قال (أسعد) فى صرامة:

- سنناقش انبهارك به فيما بعد .. أما الآن فلابد أن تقطع اتصالك بشبكة المعلومات السرية للمخابرات الروسية فوراً.

انفرجت شفتا (شريف)، لينطق بكلمة واحدة، إلا أن (قدرى) سبقه إليها، قائلاً بمنتهى الحزم:

- مستحيل!

ثم اندفع نحوهم مستطرداً فى حدة:

- إن نجاح (أدهم) يعتمد على ما يفعله (شريف)، ومن المستحيل أن يتوقف، مهما كانت الأسباب.

هتف (أسعد) فى غضب:

- مهما كانت الأسباب؟! يا لها من عبارة سخيفة، فى موقف كهذا! هل تدرك ما الذى يمكن أن يحدث

لو لم يقطع اتصاله بهذه الشبكة المعلوماتية السرية فوراً؟! بكل بساطة ووضوح، سيتم تحديد موقعنا، وينقض علينا رجال الأمن الروسية من كل صوب، وسيصبح الموت هو المصير المحتوم لنا جميعاً.. وهذا لن يساعد الصديق (أدهم) أيضاً.

تبادل الكل نظرات شديدة التوتر مفعمة بالقلق والحيرة..

فما يطلبه (أسعد)، رجل المخابرات المصرية الأول فى (موسكو)، منطقى عقلانى تماماً، ولكن تنفيذه يندرج حتماً تحت خانة المستحيل!

فالخطة المعقدة التى وضعها (أدهم صبرى)، والتى خرج لتنفيذها بالفعل، تعتمد اعتماداً رئيسياً على ما يفعله (شريف) فى شبكة المعلومات السرية، الخاصة بجهاز المخابرات الروسى..

وهذا الأمر نفسه يمكن أن يجتذب إليهم كل قوى الشر..

كلها بلا استثناء ..

الأمر الذي اتفقوا عليه جميعًا ، دون تبادل كلمة واحدة ، هو أنه من المستحيل أن يتوقف (شريف) ، ما دام القائد يعتمد على استمراره ..

ومن المستحيل أيضًا أن يستمر ، ما دامت حياتهم جميعًا تعتمد على التوقف ..

ومن المحتم الآن أن يتخذوا قرارًا حاسمًا

فإما حياتهم ..

أو حياة الأستاذ ..

أستاذهم ..

* * *

لم تكد سيارة مدير المخابرات الروسية تتوقف ، عند بوابة مبنى المخابرات ، في قلب (الكرملين) ، حتى أسرع طاقم الحراسة يفتح لها البوابة ، التي عبرها سائق السيارة إلى ممر قصير ، توقف في نهايته أمام

حاجز معدني خاص ، فناوله المدير بطاقته الممغنطة المشفرة الخاصة ، والتقطها السائق ليدسها في تجويف رفيع ، في جهاز فحص خاص ، أضاء مصباحه الأخضر على الفور ، وارتسمت على شاشته صورة المدير ، وانزاح الحاجز المعدني في بطء ، واستعاد السائق البطاقة ، وأعادها إلى المدير ، وهو ينطلق عبر الساحة إلى المبنى الرئيسي ، الذي يضم مكتب المدير ، وما إن توقف أمامه ، حتى غادر السيارة في سرعة ، ودار حولها ليفتح باب السيارة للمدير ، الذي غادرها معقود الحاجبين ، وفي غضب وتوتر واضحين ، واتجه في خطوات واسعة سريعة إلى المبنى ، قائلاً لأول ضابط في طريقه :

- أريد (كوالسكي) في مكتبي فورًا .

قال الضابط في سرعة :

- فورًا يا سيدي .

وراقب المدير ، حتى استقل مصعده الخاص ، ثم اتجه إلى السائق ، وسأله في قلق

- ماذا به اليوم يا (جريجورى) ؟!

هزّ (جريجورى) كتفيه، وقال:

- من الواضح أنه غاضب للغاية.. إنه لم ينطق حرفاً واحداً منذ مغادرة السيارة عند منزله.. حتى وصلت إلى هنا.. لكنك تعرف من يتحدث عنه.. إنها الضابط (ديمترى)

مط الضابط شفتيه، مغمغماً، وهو يسرع لتنفيذ الأمر

- يبدو أنه سيكون يوماً رديئاً بالنسبة للجنرال (كوليسكى).

لم يمض على قوله هذا ربع الساعة، حتى كان (كوليسكى) يندفع إلى مكتب المدير، وهو يقول في حذر:

- الضابط (ديمترى) يخبرني أن...

قاطعه المدير في غضب هادر:

- ما الذي تفعلونه هنا بالضبط؟

بدت حيرة متوترة على وجه (كوليسكى)، وهو يقول:

- وما الذي فعلته ياسيدي ؟!

صاح به في غضب:

- ذلك الأسير في القبو.. لماذا تحتفظون به هنا؟! ولماذا لم يصلني أي تقرير رسمي بشأنه؟

قال (كوليسكى) في عصبية:

- ذلك الأسير هو الورقة الرابحة الوحيدة في قبضتنا ياسيدي.. ووجوده هنا مجرد كمين لاستدراج رجل المخابرات المصري (أدهم صبري)

هتف المدير في حدة:

- إنه ليس بحقق ليستحق أليه هنا

قال (كوليسكى) في سرعة:

- على العكس ياسيدي.. لو أنك راجعت ملف (أدهم صبري) كله، لأدركت أنه حتى الموت لايمكن أن يمنعه من محاولة إنقاذ رفيقه

ارتفع حاجبا المدير ، وهو يقول في دهشة

ـ إلى هذا الحد ؟!

هتف (كواليسكي) في انفعال

ـ وأكثر من هذا ياسيدي ،

مطّ المدير شفتيه ، وغمغم :

ـ كم نحن بحاجة إلى رجال مثله

لم ترق العبارة للجنرال (كواليسكي) ، فغمغم بدوره في عصبية :

ـ لدينا الأفضل .

ابتسم المدير في سخرية ، قائلا

ـ حقًّا ؟!

ثم استعاد صرامته العصبية دفعة واحدة ، وهو يضيف

ـ ولكن وجود هذا الأسير هنا يسبب لنا مشكلة ضخمة .

سأله الجنرال في توتر :

ـ أية مشكلة ؟!

لوّح بيده ، قائلاً في حدة :

ـ المصريون اعترضوا رسميًّا على هذا الموقف ، وطلبوا ، من خلال قنواتهم الدبلوماسية ، بضرورة نقل رجلهم إلى زنزانة عادية ، والسماح لمحام مصري بالاتصال به ، و ....

قاطعه (كواليسكي) في انفعال ، دون أن ينتبه إلى ما في هذا من تجاوز لكل قواعد اللياقة والرسميات

ـ محال ! هذا يفسد خطتنا كلها

صاح به المدير في غضب :

ـ ليس محالا يا جنرال ، فالرئيس نفسه طلب نقل الأسير إلى زنزانة عادية ، والسفير المصري ينتظر حدوث هذا ، حتى يرسل إليه المحامي

هز (كواليسكي) رأسه في قوة ، قائلا

- حظك يا سيادة المدير ... حظ ... صديقي لو حدث
هذا فلن يربح منه سوى (أدهم) نفسه ... وجود ذلك
الأسير هنا يجعلك أكثر تفوقًا ... حاول أن تنقل هذه
الصورة إلى الرئيس ... ويترك لك أن تتخذ هذا القرار
عبثًا أو تعلقًا .

زفر المدير في توتر ... وقلب كفيه ، قائلاً في
عصبية :

- ... أدرى ماذا يعني بالضبط ؟! الرئيس قال
إنه سيرسل مندوبًا خاصًا ، للقاء ذلك الأسير المصري
هنا في مكتبي ... ولا يمكنني أن نخبره عندما يأتي ، أن
الأسير ... في زنزانته الإلكترونية ، في هو ...

انعقد حاجبا (كوالمسكي) بشدة ، وهو يغمغم

- مندوب خاص ؟!

ثم سأل المدير في لهفة .

- أأنت واثق من أن الرئيس نفسه هو الذي قال
هذا ؟!

حدق المدير فيه بحيرة ، قائلاً

- ماذا تعني ؟!

سأله في انفعال :

- أعني هل اتصلت به أم اتصل بك ؟

لوح المدير بذراعيه ، قائلاً في عصبية

- هو الذي يجري الاتصالات ، وماذا في هذا ؟

مال (كوالمسكي) نحوه ، وسأله في حزم منفعل

- كم مرة اتصل بك الرئيس شخصيًا منذ توليك
منصبه ... حتى في مثل هذا الموقف

انعقد حاجبا المدير ... وهو يفكر في عمق ... قبل أن
يجيب في قلق

- مرة واحدة

تراجع (كوالمسكي) ، هاتفًا في صرامة

- أرأيت ؟!

هتف المدير بدوره في عصبية

- رأيت ماذا ؟!

عاد (كوالسكي) يميل نحوه .. قائلاً في انفعال

- من تحدث إليك ليس الرئيس بحق

رمقه المدير بنظرة متشككة قلقة .. قبل أن يقول في حدة :

- وكيف هذا ؟! إنني أعرف صوته جيداً .. ثم إنه قد حدثني عبر الخط الساخن * مباشرة

قال (كوالسكي) في حزم

- أنت تعلم أن (أدهم صبري) خبير في تقليد الأصوات بدقة مدهشة .. كما يؤكد ملفه .. وكما يؤكد كل من عملوا معه .. أما بالنسبة للخط الساخن .. فذلك الخبير الشاب في فريقه يمكن صنع أمور يعجز عن فهمها العقل .

* الخط الساخن : خط هاتفي مباشر بين اثنين من كبار المسؤولين، مصمم بحيث يتم الاتصال فوراً مع سماعه عند المخاطب .. دون الحاجة إلى عبور أية أجهزة أو أفراد

ثم لوح بذراعه في انفعال ، مستطرداً

- أراهنك على أن ذلك المندوب المزعوم ، الذي سيأتي لمقابلة سيرو في مكتبك ، ليس إلا (أدهم صبري) ، متنكراً .. وذلك الاتصال الزائف مجرد خدعة ، لتحرير الأسير من سجنه الإلكتروني ، حتى يصبح من السهل عليه أن يستعيده .. دون أن يضطر لخوض حرب إلكترونية معقدة .. وغير مضمونة النتائج ..

قطعه رنين هاتفه المحمول بغتة .. فبتر عبارته ، والتقطه بحركة سريعة ، قائلاً في صرامة مطلقة

- (كوالسكي)

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، فسأله المدير في قلق :

- ماذا هناك ؟!

أنهى الاتصال ، وهو يجيب في عصبية

- يبدو أن خبيرهم قد تسلل إلى شبكة أمننا ، ويحاول إبطال عمل كل وسائل الأمن ، في الزنزانة والممر

- هذا يتعارض مع نظريتك بأن (أدهم صبري) سيتنكر في هيئة مندوب الرئيس الخاص، ويسعى لأخذ الأسير من مكتبي، فهذا يحتوي خبيره بفضل عن وسائل الأمن في القبو ؟!

انعقد حاجبا (كوالسكي) وهو يقول:

- هناك حتمًا تفسير لهذا.

ضرب المدير سطح مكتبه بقبضته، قائلًا في صرامة:

- وحتى تجد ذلك التفسير الوهمي، سندير الأمور هنا بأسلوبي الخاص.

ثم عاد، مستطردًا بلهجة صارمة غليظة آمرة:

- ستخرجون الأسير من زنزانته، وتحضرونه إلى مكتبي.

هتف (كوالسكي) معترضًا

- سيادة المدير .. لو أن ....

قاطعه المدير بإشارة صارمة من يده، متابعًا بنفس اللهجة:

- وعندما يصل المندوب الخاص للرئيس، ستقومون بتفتيشه ومراجعة أوراقه والتأكد من هويته بكل وسيلة ممكنة، فإذا ما ثبت أنه مسئول حقيقي، سيأتي إلى مكتبي ليجد الأسير في انتظاره. أما لو كان (أدهم صبري) ...

بتر عبارته، والتقط نفسًا عميقًا قبل أن يضيف في صرامة:

- فهو لكم.

وعلى الرغم من أن هذا الوضع لم يكن مثاليًا، بالنسبة لما خطط له (كوالسكي) مسبقًا، إلا أنه قد بدا له مناسبًا وعادلًا إلى حد كبير، فعلى الأقل لديه احتمال قائم بأن يقضي على قائد الفريق الانتحاري المصري شخصيًا ..

على (أدهم) ..

(أدهم صبري) ..

* * *

في سرعة مبهرة، راحت أصابع خبير الكمبيوتر والاتصالات الملكي تجري على أزرار الكمبيوتر، وهو يطالع شاشته في اهتمام وتركيز شديدين، قبل أن ينعقد حاجباه، ويغمغم في حيرة:

- عجبًا!

سأله الضخم (إيجور) في غلظة، بنفس العجرفة الرهيبة:

- ماذا هناك؟

أشار (أندرسن) إلى شاشة الكمبيوتر، قائلاً:

- وفقًا لما أستنتجه هنا، فعملية اختراق شبكة معلومات المخابرات الروسية لا تتم في مكان محدود.

سأله (إيجور) في حيرة:

- ماذا تعني؟!

هز الخبير كتفيه، مجيبًا:

- وفقًا للإحداثيات المتغيرة، فإنهم يستخدمون جهاز كمبيوتر نقال، يتصل بهاتف محمول، عن طريق بطاقة اتصال خاصة، من إنتاج الشركة التي أعمل لحسابها على الأرجح(*).

زمجر (إيجور)، قائلاً في شراسة:

- لكنك تعمل لحسابنا الآن.

تجاهل (أندرسن) هذه العبارة الغبية، وهو يتابع الإحداثيات على الشاشة، مكملاً:

- إنهم يحاولون منعنا من تحديد موقعهم بدقة.

سأله (إيجور) في خشونة:

(*) أنتجت شركة "نوكيا" الفنلندية بطاقة اتصال خاصة، يتم تركيبها بأجهزة الكمبيوتر النقالة، لتحولها إلى هاتف خلوي، يحمل إمكانيات الكمبيوتر وسعته التخزينية الضخمة، وهذه البطاقة تمنح القدرة على الاتصال بشبكات الإنترنت والمعلومات لاسلكيًا، عن طريق الأقمار الصناعية.

- وهل يمكنهم هذا ؟!

صمت (أندرسن) مراقب الشاشة بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- إلى حد ما

ثم استدرك في سرعة ، وهو يعود ليعمل على أزرار الكمبيوتر :

- ولكن ليس مع خبير مثلي .

فغر (إيجور) فاه ، وهو يتابع ما يفعله الرجل بجهاز الكمبيوتر ، واستغلق عليه فهم أو استيعاب حركته وحدة ، فهز رأسه في قوة ، وكأنما يحاول صرف دهشته بنفسه ، وهو يسأل في غلظة :

- هل يعني هذا أنك لا تستطيع تحديد موقعهم قبل أن ينتهي الاتصال ؟!

أجابه (أندرسن) ، وهو منهمك في عمله :

- لو أنهم يستخدمون أحد هواتف الأقمار الصناعية ،

فيمكننا تحديد المنطقة التي تتحرك فيها سيارتهم ، خلال ثلاث دقائق على أقصى تقدير .

عقد (إيجور) حاجبيه ، دون سبب منطقي ، وهو يسأل :

- وماذا عن محدثهم الرئيسي ؟!

التفت إليه (أندرسن) ، يسأله في حيرة :

- أي محدث ؟!

أجابه في عصبية ، ليس لها ما يبررها أيضًا :

- المكان الذي كانوا يحتجزون فيه ، والذي بدءوا منه اتصالاتهم ، قبل أن ينتقلوا إلى تلك السيارة ، التي تتحدث عنها .

تطلع إليه المسئول بضع لحظات ، في صمت وتفكير ، قبل أن يسأله في اهتمام بالغ :

- هل سجلتم كل محاولات الاختراق السابقة ؟!

أجابه (إيجور) في سرعة :

- بالتأكيد .

ثم أدار عينيه إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردا في انزعاج :

- ماذا حدث ؟!

رفع المصري عينيه إلى الشاشة ، وانعقد حاجباه ، وهو يتمتم :

- لقد أوقفوا الاتصال مؤقتا

ثم هز رأسه ، مستطردا بنبرة إعجاب واضحة

- إنهم يعلمون .

سأله (بيجور) في عصبية

- يعلمون ماذا ؟!

أشار (أندرس) إلى الشاشة ، مجيبا بابتسامة كبيرة

- يعلمون أنني هنا .

انتفض جسد (بيجور) في دهشة ، وهو يهتف

- يعملون لك هنا ؟! مستحيل !

تابع (أندرس) وكأنه لم يسمعه

- خبير هم هنا موهوب وعبقري بحق والشخص [illegible] فيه هو أنه يتابع خير خبراء الشخص في عالم الكمبيوتر والاتصالات وهذا يبدو واضحا في تسويته البارع [illegible] عدد ضخم من تلك الصور التي سيارة متحركة ، مستخدما

انعقد (بيجور) [illegible] قبل أن يهتف في حدة :

- المهم هل يمكنك تحديد موقع ذلك الشخص أم لا ؟

التفت إليه الهندي بنفس الابتسامة الكبيرة ، وهو يجيب :

- ولم لا ؟!

ثم انعقد حاجباه في عمق قبل أن يستطرد في انزعاج

- إنه شخص [illegible] طويل

نطقها وعيناه تلتمعان على نحو مدهش ، وكلف يشعر بكل متعة الدنيا ، وهو يخوض صراعاً بين عقل ..

وعقل ..

* * *

ثلاث مرات على الأقل ، طوال الطريق ، في زنزانته الإليكترونية ، وحتى مكتب مدير المخابرات الروسية ، وعلى الرغم من نظام الحراسة المحيط به في صرامة وتحفز ، راودت (علاء) فكرة محاولة الفرار من الموقف كله ..

وبتلقائية عجيبة ، راح يدرس الموقف كله ، بحثاً عن ثغرة يمكن النفاذ منها ، إلى عالم الحرية

ولكن هذا بدا له مستحيلاً إلى حد كبير

وعلى الرغم من هذا ، فقد عاد يدرس الموقف

ويدرس ..

ويدرس ..

« لقد اتخذنا كل الاحتياطات الممكنة ، ولن تجد سبيلاً واحداً للفرار .. » ..

نطقها (نيمروسكي) ، كما لو أنه قد قرأ أفكاره فتمتم (علاء) في سخرية

ـ وماذا لو وجدت ثغرة ما ؟!

أجابه (نيمروسكي) في صرامة

ـ في هذه الحالة ، الأفضل أن نطلق النار عليك ، فأسير ميت أفضل من أسير هارب

أسير ميت ؟!

يا لها من فكرة !

ربما كان هذا هو الحل الوحيد بالفعل

محاولة يائسة للفرار ، ورصاصات تحصد روحه ، ولا يعود هناك ضرورة للمجازفة بمحاولة إنقاذه ، بكل ما يحمله ذلك لأمته والفريق من مخاطرة جمة رهيبة

راودته الفكرة بجدية ، وراح يتساءل عما ستوصف به فعلته هذه ، لو أقدم عليها فعلاً ؟



ودفعه داخل حجرة مدير المخابرات الروسية

هل مستعد للحوار وكفرا بوحدة الله (سبحانه وتعالى) وقدرته (عز وجل)، ثم قتله سبعة شهيد لا ما ضحى بحياته في سبيل رفاقه ؟

قبل أن يحسم عقله الأمر، توقف الكل فجأة وقال (ليبروسكي) في صرامة

- استعد يا هذا ... ستلتقي بالمدير شخصيا

شعر (ص) في أعماقه، علاء جعل كل ذرة في كيانه تتوتر بشدة ... وتترقب حدوث أمر ما

أمر لم يدر كنهه بالضبط

ولكن (ليبروسكي) فتح الباب

ودفعه داخل حجرة مدير المخابرات الروسية

وفي هدوء، تطلع إليه المدير، قبل أن يسأل (ليبروسكي) في حزم :

- أهذا هو ؟!

أجابه (ليبروسكي) في سرعة

- بشحمه ولحمه ياسيدي .

كان رجال الأمن يحيطون بـ (علاء) في تحفز ، وفوهات مدافعهم الآلية تكاد تلتصق بجسده ، و

« اتركونا وحدنا .. » ..

نطقها المدير في حزم آمر ، جعل حاجبي (بيروسكي) يرتفعان بدهشة بالغة وهو يقول في عصبية

- وحدكما ؟! ولكن ..

هبَّ المدير من خلف مكتبه صائحاً في صرامة غاضبة :

- وحدنا يا (بيروسكي) .

تردد الرجل لحظة ، ثم لم يلبث أن تراجع وقال لرجاله في صرامة :

- احرصوا على أمن وسلامة السيد المدير

قالها ، وأغلق الباب خلفه ، تاركاً (علاء) والمدير وحدهما ، في حجرة مكتب الأخير

وتحول ، تطلع كل منهما إلى الآخر في صمت ، قبل أن يبتسم المدير ، قائلاً

- كيف حالك يابطل ؟!

وانعقد حاجبا (علاء) في شدة

هناك الاستقبال كان مفاجئاً

مفاجئاً بحق

وإلى أقصى حد

* * *

« تجربة تنفيذ خطة (الدعم) هذه »

حدَّق (فخري) الخبير في توتر عصبي ، وهو يدور في المكتب كذبيح جريح ، فتابعه الدكتور (محمد) بنظره بضع لحظات في صمت ، قبل أن يقول في قلق

- منذ حدثتني وأنا أتساءل كيف يمكنه أن يفعل هذا ، حتى في دعايته كي يقنع أصدقائي لحسابه في ... ولم يكشف أمرهم قط

لوّح (قدري) بيده قائلاً في حدة :

- إنها ليست دعابة هذه المرة .

وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يضيف في مرارة :

- إنه يحتل شخصية مدير المخابرات الروسية نفسه

غمغم الدكتور (أحمد) ، وهو يقاوم ذلك الفزع في أعماقه

- إنه قادر على إقناعهم .

ثم ازدرد لعابه في صعوبة مضيفاً :

- لو صار كل شيء على ما يرام

هتف (قدري) في عصبية :

- أتمزح ؟! أنت تعلم ... لو صار كل شيء على ما يرام .

خيّل للدكتور (أحمد) أن لعابه قد تحول إلى حجر خشن ، وهو يحاول دفعه بصعوبة عبر حلقه ، قائلاً في خفوت :

- هدّئ روعك يا صديقي ، ففي موقف كهذا ، ليس بيدنا ما نفعله ، وكل ما علينا هو الانتظار

غمغم (قدري) ، في صوت أشبه بالبكاء :

- نعم .. الانتظار .

وترك جسده الضخم يهوي على مقعد قريب ، وهو يضيف في مرارة :

- والقلق ..

ربت الدكتور (أحمد) على كتفه ، محاولاً تهدئته ، وهو يبتسم :

- عندما تصبح جزءاً من لعبة بالغة الخطورة كهذه ، فلا بد أن تتحمل توترها ومتاعبها

التقط (قدري) نفساً عميقاً ، بدا مرتجفاً كجسده ، قبل أن يغمغم في أسى :

ـ إنهم لحلول .

كان من الواضح أن مشاعره المرهفة تقاوم انفعالاً يجثم على صدره ، وهو يجاهد لمنع دموعه من اغراق وجهه ، و ...

وفجأة .. ارتفع صوت طرقات قوية على الباب

وبهيئة راشدة ، هب (قدري) من مقعده ، واندفع نحو الباب ، هاتفاً

ـ لقد عادوا .

صاح به الدكتور (أحمد) في ارتياع

ـ انتظر .. إنها ليست الطرقة المتفق عليها

ولكن عبارته ضاعت في الهواء ، ولم تبلغ أذني (قدري) ، الذي دفعته لهفته إلى فتح الباب بحماس ، و ...

وانتفض جسده وجسد الدكتور (أحمد) في عنف ، عندما ارتفعت فوهات خمسة مدافع آلية في وجهيهما ،

مع صوت (ايجور) الخشن الجاف ، وهو يقول في ظفر غليظ كملامحه :

ـ ... من الواضح أن ذلك الفلندي عبقري بحق

ثم انطلقت من حلقه ضحكة عالية مجلجلة

ضحكة وحش ..

ظافر ..

* * *

ضغط (شريف) أزرار الكمبيوتر المتنقل مرة أخرى ، داخل السيارة الصغيرة ، التي تدور بها (ريهام) في شوارع (موسكو) ، محاولاً اختراق شبكة المعلومات الروسية السرية ، وهو يتمتم في توتر

ـ أتشك في نجاح هذا الأسلوب في تشغيل (كريس) ؟

سألته (ريهام) في اهتمام :

ـ أهو عبقري بحق ، كما تصفه دوماً ؟

هز رأسه موجباً في انفعال :

- قالوا معا : تصورين .

وعاد يضغط على أزرار الكمبيوتر النقال ، متابعا في توتر :

- لهذا كان من الضروري أن نترك المنزل الآمن ، وأن نواصل عملنا من مصدر متحرك ، حتى تتحقق المعادلة الصعبة ، فنحصل على طلبه الأستاذ ، ونبعد الخطر عن الآخرين في الوقت ذاته .

سألته في تردد :

- وهل تعتقد أن هذا الأسلوب سينجح ؟!

مط شفتيه ، مغمغما :

- مع عباقرة اتصالات ، مثل (فيليب اندرسن) ، لا يمكنك توقع أي شيء أو حتى

قاطعته هاتفها المباحث :

- يا إلهي !

رفع عينيه في سرعة عن شاشة الكمبيوتر النقال ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى دورية الشرطة ، التي تعترض طريقهما ، والمسدس الذي يلوح لهما بالتوقف في صرامة ، وهو يمسك مدفعه الآلي في تحفز ، في حين سألته (ريهام) في توتر شديد :

- هل سنتوقف ، أم نقتحم الكمين ونبحث ما يحدث ؟!

أغلق جهاز الكمبيوتر النقال ، ودسه أسفل مقعده ، وهو يجيبها في حزم :

- السيارة تحمل أرقاما دبلوماسية ، وعلى مقدمتها علم (إسبانيا) ، والسيد (فيدري) أعطاك جواز سفر دبلوماسيا إسبانيا ، ومن الناحية القانونية ، ليس من حقهم حتى إجبارنا على مغادرة السيارة .

ازدردت لعابها في قوة ، في محاولة للسيطرة على أعصابها ، وهي تضغط فرامل السيارة في بطء ، لتوقفها على مسافة متر وتحد من الضابط ، الذي أشار إلى رجاله

بالالتفاف حوله، قبل أن يتجه نحو (ريهام) مباشرة،
ويميل ليلقي نظرة عليها ثم يبتسم ابتسامة لاتحمل
ذرة واحدة من المودة، وهو يقول

- • التقرير صحيح بالتأكيد

كانت (ريهام) متنكرة في هيئة إسبانية، بعد فقد
أدهشتها عبارة الضابط، وجعلتها تقول بالإسبانية في
توتر:

- ماذا هناك أيها الضابط؟؟

هز الرجل رأسه، واتسعت ابتسامته البغيضة
وهو يقول:

- بالإنجليزية يا سيدتي، لو أنك لاتجيدين الروسية،
فأنا أفضل الإنجليزية

ابتلعت لعابها، تسأله في حدة

- لماذا توقفت؟؟ هل تعلم أن القانون لايسمح لك حتى
بتوقيفنا، مادامت سيارتنا تحمل أرقامها الدبلوماسية
في وضوح.

وبصاق (شريف) مصطنعا الصرامة

- كل رجل شرطة في العالم يعرف هذا جيدًا

بدت ابتسامة الرجل مخيفة وهو يقول

- لا تجعل المظاهر تخدعك.

ومن أن يفهم تحديدًا ما يعنيه، اندفعت يده بقسوة
عبر النافذة المفتوحة، بهراوة صغيرة ثقيلة، هوى
بها على مؤخرة رأس (ريهام) في عنف، جعل
جبينها يرتطم بمقود السيارة، فتفقد وعيها على
الفور..

وبسبب العصبية، تحرك (شريف)

ولكن فجأة، تحطم زجاج النافذة المجاورة له،
والخلفية، وزجاج السيارة الأمامي، وتناثرت قطع
الزجاج الصغيرة في وجهه، وفوهات المدافع الآلية
تندفع، عبر النوافذ المكسورة، لتتجه نحو رأسه
مباشرة، والرجل يكمل ساخرًا

- ألست رجال شرطة في الواقع

رفع (شريف) عينيه مندهشًا، وهو يلهث في انفعال عجيب، في حين ابتعد الشرطي المراقب، والتقط هاتفه المحمول، وطلب رقمًا خاصًا، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى ارتسمت ابتسامة ظافرة كبيرة، وقال:

- المندوب أثبت أنه يستحق كل سنت تقاضاه بالفعل أيها الزعيم.. لقد وقع الصيد في قبضتك بالفعل.

ولهث (شريف) أكثر، وهو يسمع العبارة الأخيرة.

بالنسبة إليه، ووفقًا لكل الملابسات المحيطة به، كانت (المافيا) الروسية قد انتصرت في الجولة الأخيرة.

وبشدة.

* * *

انعقد حاجبا (كوليسكي) في توتر، وهو يستمع إلى رواية (سيروسكي)، الذي ختم حديثه بقوله العصبي:

- لست أدري ماذا أصاب المندوب اليوم؟! إنه يتصرف بغرابة وعصبية لم أعهدها فيه من قبل.

غمغم (كوليسكي) في عصبية:

- يبدو مختلفًا.. أليس كذلك؟

هتف (سيروسكي):

- بالتأكيد.

انعقد حاجبا (كوليسكي) أكثر، وهو يغمغم متوترًا:

- شيء يصنع في ذهني احتمالاً أخشى مجرد التفكير فيه، أو حتى..

قبل أن يتم عبارته، ارتفع فجأة رنين هاتفه

الخلوى ، فالتقطه فى سرعة ، وقال وهو يضغط زر الاستقبال فى حزم :

- (كوالسكى) .

باغته صوت المدير ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

- (كوالسكى) .. اطلب من طاقم حراسة المبنى منعى من الدخول لأى سبب .

قال (كوالسكى) بدهشة عارمة :

- منعك من ماذا ؟!

هتف المدير فى حدة :

- إنه ذلك المصرى يا (كوالسكى) .. لقد انتحل شخصيتى ، واستولى على بطاقتى الممغنطة الخاصة ، بعد أن أفقدنى الوعى ، ولست أجد سائقى أو سيارة العمل هنا ، وأخشى أنه ....

قاطعه (كوالسكى) بصيحة هادرة :

- يا للشيطان !

ثم تابع بانفعال عصبى جارف :

- إنه هنا بالفعل يا سيدى .. هنا مع الأسير .

صرخ المدير فى ذعر :

- يا للكارثة !

ثم أضاف فى سخط عصبى :

- امنعه من الخروج بأى ثمن يا (كوالسكى) .. أنا فى طريقى إليك بسيارتى الخاصة .. سأصل بعد دقيقة واحدة .. اتخذ كل ما يلزم للسيطرة على الموقف ، حتى أصل إلى المبنى .

كانت أصابع (كوالسكى) تسحق هاتفه المحمول ، وهو يقول فى غضب شديد :

- اطمئن يا سيادة المدير .. لن يغادر المكان إلا على جثتى .

أنهى المحادثة ، وصاح بمعاونه (ليبروسكى) :

- الرجل الذي تركت الأسير في حجرته ليس مديرنا الحقيقي .

اتسعت عينا (ليبروسكي) عن آخرهما ، وارتد كالمصعوق ، وهو يهتف بكل ذعر الدنيا :

- مستحيل !

سحب (كوليمسكي) مسدسه بحركة غريزية ، وهو يقول في صرامة عصبية :

- مر أفضل وأقوى رجالنا بمحاصرة المبنى ، الذي يحوي مكتب المدير ، وأخبرهم أن من واجبهم إطلاق النار فورًا ، على كل مكان يحاول الخروج منه أو مغادرته بالقوة ، وضع فريقًا من المحترفين في الممر الخاص بحجرة المكتب ، واطلب من وحدة الأمن الإليكتروني تشغيل كل نظم الحماية والمراقبة ، والتأكد من كهربة مداخل وممرات التهوية .. لا أريد منحه ثغرة تكفي لفرار فأر صغير أجرب .

أسرع (ليبروسكي) لتنفيذ الأوامر فورًا ، في نفس

اللحظة التي ظهرت فيها سيارة المدير الخاصة ، وهي تندفع نحو البوابة الرئيسية للمبنى ، فهتف الجنرال (كوليمسكي) في طاقم الحراسة :

- افتحوا البوابة للمدير .

ظهر التردد والتوتر على وجوه الرجال ، مع الأوامر الصارمة لديهم ، التي تحتم عدم السماح لأي مخلوق بدخول المبنى ، ما لم يحمل بطاقة هوية مغناطيسية ، أو تصريحًا رسميًا من أحد الجنرالات ، ولكن (كوليمسكي) صرخ فيهم بغضب هادر :

- افتحوا الأبواب .. سأتحمل المسئولية كاملة .

أسرع الرجال يفتحون البوابة أمام سيارة المدير الخاصة ، التي عبرت في سرعة ، لتتوقف على مسافة متر واحد من (كوليمسكي) ، ثم يثب منها المدير بشعر أشعث ، وكدمة واضحة في جبهته ، وهو يهتف :

- لا تسمحوا له بالخروج يا (كوليسكي) ..
ستصبح أكبر مهزلة في تاريخنا كله ، لو استطاع دخول عريننا ، والخروج منه مع أسيرنا ، ساخرًا من نظم أمننا ، وعقلياتنا ، وكل ما صنعناه في حياتنا .

انعقد حاجبا (كوليسكي) في شدة ، وهو يضع يده على كتف المدير في قوة ، محاولاً تهدئة انفعاله الشديد ، ويلوّح بمسدسه في اليد الأخرى ، قائلاً بكل حزم وصرامة الدنيا :

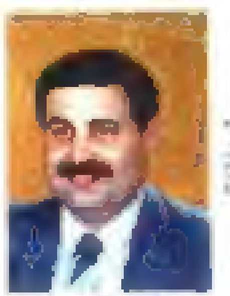
- اطمئن يا سيدي .. حتى ولو اضطررنا لنسف المبنى كله ، لن نسمح بخروج (أدهم صبري) أو أسيرنا من هنا ، على قيد الحياة .

الأسلوب الذي نطقها به كان يعني أن (أدهم صبري) لم يعد يواجه فريقًا من المحترفين فحسب ، بل صار عليه أن يدير أكثر مواجهات حياته عنفًا وشراسة ، ضد جهاز مخابرات كامل ..

أقوى جهاز مخابرات في (آسيا) كلها ..
وهذا يعني أن أبواب الجحيم كلها قد تفتحت أمامه على مصراعيها ..
ويبتدئ العنف .

* * *

انتهى الجزء الثاني بحمد الله
ويليه الجزء الثالث بإذن الله
(مدينة الذئاب)



د. نبيل فاروق

المغامرة الكبرى

- ما مصير (أدهم صبري) وفريقه، بعد انفجار سيارة الأمن، في قلب (موسكو)؟!
- كيف يدير زعيم (المافيا) الروسية اللعبة، بعد أن سيطر على الموقف بالفعل؟!
- ترى هل يمكن أن يتصدى فريق محدود لدولة بأكملها؟! .. ومن يربح هذه (المغامرة الكبرى)؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل).

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

136



الثمن في مصر ٢١٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
مدينة الذئاب